طرقة باب

(مجموعة قصصية)

سهل الشرعان

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشرعان، سهل رغيلان

طرقة باب: مجموعة قصصية./ سهل الشرعان. - الرياض، ١٤٢٨هـ

١٣٠ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٠-٢٧٥-٥٤-٩٩٦٠

١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٢٨/ ٢٥٩٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/ ٢٥٩٠

ردمك: ٠-٢٧٥-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

"مجموعة قصصية"

مجرد نظرة..!!

"الموعد الليلة... في المكان الأول نفسه... لا تتأخري".

سكت برهه ثم قال بصوت الآمر:

"لا تنسي أن تخبريني لون ثوبك".

أغلق الهاتف قبل أن ترد؛ لأنه لا ينتظر موافقتها، فهي تعرف أنها الآن ليست في مجال الاختيار، فالطوق قد أحكم حول عنقها؛ فإما أن تساير وتذعن لتسلم، على قاعدة خير الشرين... أو ترفض لتختنق وتموت... نظر لهاتفه بعد أن ألقاه على السرير، وبدأ يفكر أنه أصبح لا يقهر.

لا يذكر زايد بأنه وضع شيئاً في رأسه ولم يحصل عليه. عندما كان صغيراً كان يضحي بالغداء ومباراة (العصريات) مع الرفاق، ويقبع في غرفته ليحصل على ما يريد. وعندما يرضخ الأب والأم كانت متعته بالانتصار عليهم أكبر من الحصول على سيارة بريموت كنترول كان ينشدها، أو شريط فيديو كان يتمناه. الجميع يعرف أنه إذا وضع هدفاً نصب عينيه فإنه يتحقق؛ ولهذا لا يراهنه أحد من أصدقاء الاستراحة أو من خارجها.

في غرفته أخذ ينظر لوجهه في المرآة متخيلاً مقابلته لها بعد وقت من التمنع والتغنج جعلته يقسم بكل ما يملك بأنها ستدخل إلى الاستراحة وتسكب له البيرة على مرأى من الرفاق. لم يجرؤ أحد على وضع (حق) تحدياً له؛ لأنه لا يساورهم شك بأنه سيفعل،

إلا أن الاستغراب أتى من كون قَسَمِه جاء من غير تحدٍ؟! صاحبه مازن كان يعرف السبب فقط. وأما لماذا مازن بالذات فذلك لأن مازناً ظل ملازماً له منذ المرحلة الابتدائية، عندما كانا أول طالبين يغشان في مادة الفقه. لقد كان وَقْعُ الحادثة على المدرس والإدارة أشد من قنبلة هيروشيما على اليابانيين؛ إلا أنه في الأخيرة استسلم الإمبراطور على ظهر بارجة أميركية، بينما في الأولى استسلم للمدير في غرفته...!!

كان مازن يعرف أن هذه الفتاة غير.. لم يستغرب مثلما فعل الرفاق من قوة التحدي الذي ألزمه زايد نفسه. والسبب في ذلك يعود إلى كونها من أصعب الفتيات التي حاول زايد أن ينشئ معها علاقة، بل ظن في وقت من الأوقات أنه لن يتمكن من الحصول عليها.

استلقى زايد على سريره وأخذ ينظر إلى السقف وبدأ طيفها يمر من أمامه عندما رآها أول مرة أمام محلات المكياج، أو (الميك آب) كما تُدعى عند أهل الطبقة إياهم. لم يلتفت إليها بداية لأنها كانت محاصرة بثلاث من صديقاتها... أطلقت هي نظرة حادة جعلته يكاد يجزم بأنها من بنات ألف ليلة وليلة، واللاتي حولها إما جوارٍ لها أو في أحسن الأحوال وصيفات لملكة جمال الكون. نظرتُها لم تكن من تلك النظرات العابرة التي تمرق كل يوم في أسواق النساء. بل هي من ذلك النوع الذي يخترق العين ليستقر في

سويداء القلب. المعاكسة فن يظن من هو خارجه أنه لا يخضع لقواعد تضبطه، وأنه ليس هناك منهج يحدده، في حين أنه للمحترفين ليس كذلك. وبما أن "زايد" حائز على درجة الدكتوراه في المعاكسة في الأسواق النسائية، مع الزمالة في فنون الاتصال بعد منتصف الليل، فقد كانت النظر ة الطويلة التي حدجته سلمى بها إشارة خضراء على طريق الحب... الأحمر.

@ @ @

أغلقت سلمى الهاتف بعد تلك المكالمة القاسية من زايد ونظرت إلى المرآة لترى وجهها الذي كان يرفع ضغط الأمهات في الأعراس، والطالبات في الكلية، قد أَلِفَ الهمَّ وصاحبَ الغمَّ منذ ذلك اليوم الذي اتجهت فيه إلى السوق بصحبة زميلاتها في الكلية. تدلت خصلة من شعرها الناعم فنفختها لتتفرق تلك الشعيرات عن جبينها. انتبهت لجبينها وكيف أنه بالفعل يميل إلى اللون الأصفر كما هي حال بشرتها، فلم تستطع أن تمنع نفسها من ابتسامة ساخرة عندما تذكرت كيف كانت تناديها البنات في المتوسطة بالصفراء عندما يغضبن منها، والأمريكية عندما تكون هناك هدنة... نظرت مرة أخرى إلى المرآة لترى أنها من المفترض أن تسمى اليوم الإفريقية؛ نظراً للذبول الشديد الذي غشاها، والهم الذي أصبح جليسها ورفيقها كل ليلة. كانت أمها تقسم أيماناً مغلظة بأن ما أصاب ابنتها إنما كان بسبب عين حاسدة. وهي وإن

كانت لا تعرف من هو بالتحديد المتسبب في هذه النفس الخبيثة، إلا أنها استطاعت أن تحصر مثلث الشر في ثلاث مجموعات من الأسر..!!!

كانت أمها دائماً تقول للأب عندما يعود من الاستراحة:

" افتقدنا تلك الغمازتين في وجنتيها ".

لم تكن تلك الملاحظة الوحيدة على سلمى، بل لاحظ الجميع أنها لم تعد تلك المشاكسة التي تسخر من هذا وتضحك من ذاك، بل إن أخاها الصغير عادلاً افتقد مشاجراته معها على التلفاز واختيار القناة. أخذ عادل يصرِّح لأمه أنه بدأ يشتاق إلى تلك الأيام التي تضربه فيها سلمى على حين غرة، ومن ثم تنطلق مهرولة إلى غرفتها، ولا تفتح الباب إلا بعد عقد اتفاق عدم اعتداء برعاية الأب. كل هذا اختفى وأصبحت سلمى شبحاً يُتَّهم أحياناً بالعين، ويُتهم أحياناً أخرى بمرض نفسي، وأخيراً اتهم بالحبوب المسهرة. لا أحد يريد أن يعرف الحقيقة بقدر ما يريد أن يكون صاحب الحقيقة. لا أحد يهمه حياتها بقدر ما يهمه صدق توقعاته؛ ولذا فقد اعتادت أذنها على سماع كلمة "وسترون" عندما تختلسُ بعضَ حديثهم حولها. كانت تلك الكلمة هي أكثر ما يغضبها حتى إنها بدأت تتساءل هل سيتراهنون عليها؟!! وبكم...؟!!

استرخت على كرسيها المفضل وعقدت ساقيها وبدأت تسترجع شريط الأحداث المرير في ذلك اليوم، عندما تلاقت

عيناهما عند محل (الميك آب) في زاوية المجمع. لم يكن مثل أولئك الشباب الذين يجوبون الأسواق كأنهم قطيع من الدبابير، فترى الواحد منهم لم يبخل على نفسه بـ "التحلس والتملس" واستخدام علبة كاملة من الجِل على رأسه أو ما تبقى منه بسبب القزع إلا أنه يبقى شبيها بالبالون... تعجبك أجسامهم، إلا أنها ملأى فقط بالهواء !! وتكفي إبرة صغيرة لتكشف لك عن نوعية معدنه. أما هو فكان من نوع آخر. من ذلك النوع الذي تتخيله الفتاة يصعد إليها من الشرفة حاملاً في فيه وردة حمراء متجاوز العديد من الحواجز التي أقامها الأهل مخاطراً بنفسه ليقول لها... أحبك.

ظنت في ذلك الوقت أنه انتهى وتلاشى بعد نهاية اللقاء الحميمي لعينيهما، إلا انه فاجأها بعد ذلك بالاتصال بها. على الرغم من دهشتها وعدم فهمها لكيفية حصوله على رقمها إلا أنها لم تمنع نفسها من الابتسام بعد أن أغلقت الهاتف في وجهه...

@@@

استقبل زايد صاحبه مازناً في غرفته. لم يكن يسمح لأحد غير مازن بالدخول إليها. اضطجع مازن على سرير زايد كما هي عادته. وقال بعد أن أخذ نفساً طويلاً:

"ما هي أخبارك يا روميو"؟

رد زايد وهو يتابع فيلماً أميريكياً ظهر حديثاً لم تطله رقابة الآداب، وقد أحضره بطريقة خاصة:

"أليس روميو هو الذي مات في نهاية الفيلم"؟

"أظن ذلك.. لماذا تسأل؟"

لم يردَّ زايد بل رماه بالريموت كنترول. احتمى مازن بالوسادة من تلك الضربة المفاجئة. نظر إليه زايد نظرة طويلة وقال بهدوء:

" لا تشبهني برجل يموت في النهاية".

" طيب هل يناسبك شمشون؟!"

لم يرد زايد واستعاض عنها بابتسامة أعادته للفيلم الذي يبدو أنه لم يشاهده إلا للنظر إلى تلك المناظر الحميمة التي تلتصق فيها الأجساد، بعد أن تعاف الملابس. بعد أن انتهى المشهد قال زايد وهو لا يزال يتابع الفيلم:

"واعدتها الليلة".

رد مازن بلهفة:

"هل وافقت؟!"

لم يرد زايد على سؤال مازن بل استعاض مرة أخرى عن الرد بابتسامة ظهرت فيها السخرية من السؤال. استلقى مازن على السرير مرة أخرى.

"ياه لقد كانت بنتاً صعبة".

نظر زايد بطرف عينه إلى مازن الذي مازال مستلقياً على السرير، وهو يفكر بصوت عالٍ، استطرد مازن:

"لا أذكر أنك حرصت على فتاة مثل حرصك عليها".

لم يرد زايد على مازن المستغرق في ذكرياته؛ لأنه يعلم أنه يقول الحقيقة. فما حصل في ذلك اليوم عندما التقيا في السوق كان شبيهاً بما يحصل في أفلام (جيمس بوند)، حيث إنه عندما تبعها في السوق لم تلق له بالاً، بعد أن كانت قد أعطته الضوء الأخضر في البداية. حاول معها في أكثر من محل إلا أنها لم تُظهر أي استجابة. لم يرد أن يلفت انتباه رجال الهيئة له؛ لذا فقد انسحب ببساطة من السوق. أمر زايد مازناً أن يتجه إلى السيارة. مازن الذي يعرف زايداً جيداً اتجه إلى السيارة دون أي اعتراض. بعد ربع ساعة أتاه زايد وركب في السيارة وشغل مسجل السيارة، ثم أشعل سيجارة، أرخى ظهر الكرسي قليلاً، ورفع قدمه على تابلوه السيارة. مازن الذي بدأ يظهر عليه الضيق قال:

"هل نذهب؟"

لم يرد زايد بل أشار برأسه أن لا. بدأ الضيق يظهر على مازن إلا أنه لم يكمل بل أشعل سيجارته هو الآخر وانتظر. استمرت الأغنية تصدح حتى رأى مازن الفتيات خرجن من السوق وهن ينتظرن التاكسي. أشار إليهن مازن وهو يقول:

"ودِّع صاحبتك".

لم يرد زايد بل أخذ نفساً من الدخان، ثم أخرجه ليعانق الميدالية المعلقة في مرآة السيارة. وقفت الفتيات على حافة الرصيف فانبرى لهن سائق تاكسي. ووقف عندهن، وقفت الفتيات الثلاث بالقرب منه وبدأت المفاوضات التي يبدو أنها لم تستمر طويلاً، بعد أن انطلق السائق نظر مازن إلى زايد الذي مازال ينظر إلى الميدالية. أدار مازن محرك السيارة إلا أن زايداً -بهدوئه القاتل- قال:

" أطفئ السيارة "

لم يخالف مازن عادته بالطاعة، فأطفأ المحرك وأقسم في نفسه أنه لن يتحدث مع زايد حتى يكون هو البادئ. بعد ربع ساعة من الانتظار الممل توقفت سيارة (ليموزين) خلف سيارتهما ومن ثم تحركت بهدوء.

" اتبع (الليموزين)".

نظر مازن إلى زايد ثم نظر إلى (الليموزين) الذي مازال على جانب الطريق ينتظرهم. حرك مازن السيارة بهدوء وسار خلف (الليموزين) وهو مشدوه...

@@@

دخلت عليها أمها ونظرت إلى حالتها التي لم تزدها إلا يقيناً بأن إحدى الحاقدات قد أصابت ابنتها بنفس خبيثة، جعلتها تذبل لتصبح أقرب إلى الأموات منها إلى الأحياء. جلست أمها بجانبها ووضعت يدها على شعرها الذي طالما أغاظ الجميع في حفلات الأعراس:

"سلمى... ذكرت لي جارتنا أم صالح عن شيخ يقرأ على الناس".

وضعت سلمى وجهها بين راحتيها وقالت بسخرية:

"جارتنا أم صالح التي كنت تحاولين أخذ فنجال القهوة الذي شربت منه!!".

بدأ الضيق على أم سلمى التي قالت قبل أن تخرج:

"يا بنيتي بدلاً من السخرية مما أقول لك وما أحاول أن أفعله من أجلك، لماذا لا تساعديني كي نعرف سبب مرضك". وقفت أم سلمى واتجهت للباب وقبل أن تخرج أضافت:

"من يرى وجهك يُقسم أنك ستموتين خلال يوم أو يومين".

خرجت أم سلمى وأغلقت الباب، وأبقت سلمى بصرها على الباب وتمتمت والألم يعتصر قلبها:

"بل أقرب من ذلك... سأموت الليلة".

لا يملك زايد إلا أن يبتسم بعد أن يتذكر كيف وصل إلى بيتها بعد أن أشار إليه سائق التاكسي، لم تكن المسألة تحتاج إلى كبير جهد بوجود مجموعة من الأطفال، حيث عرف من خلالهم اسم صاحب البيت بعد أن أوهمهم بأنه سيستأجر البيت؛ مما جعلهم يردون عليه بأنه بيت محمد الغافل، وهو لا ينوي الرحيل، وقد أكد هذه المعلومة أحد الأطفال الذي تصادف أن يكون قريباً لصاحب البيت. لم تكن المهمة عسيرة بعد أن عرف الاسم ليعرف رقم الهاتف، ليبدأ سلسلة اتصالات مدروسة قادته لمعلومات مهمة عن البيت، فمكالمة واحدة لأخيها الصغير قادته لمعرفة أثاث البيت ونوعية فرش الصالة، بعد أن ادعى أنه يعرف المنزل وأعطى الصغير معلومات خاطئة؛ مما جعل أخاها يذكر المعلومات الصحيحة كبرهان له على خطئه. لم تستغرق هذه المحاولات من زايد إلا يومين ليستوفي المعلومات القيمة عن المنزل. مشكلة الهاتف الثابت كما قال زايد لمازن مرة في أحد دروسه أنه لم يعد يحظى بتلك الحماية بعد الجوالات، فأصبح من نصيب الأطفال والخادمات والعجائز؛ لذا فإن المعاكس يحتاج في البداية للحظ ليقع على الصنف الأول ثم بعدها يبدأ الاحتراف.

كانت المكالمة الأولى لها بعد يومين من تلك النظرة التي ظنت أنها نسيتها. إلا أن ذلك الاتصال الغريب بعد العشاء عندما ذهب أهلها إلى مناسبة ولم يبق إلا هي أعاد لها تلك النظرة بتفصيلها.

لم تكن تعلم بالطبع أنه يتصل بها من الجوال، وقد ركن سيارته في آخر الشارع.

"آلو... آلو.."

"مساء جميل... أليس كذلك؟!"

"آلو من معي؟"

"شخص قتلتيه في السوق قبل يومين".

أغلقت الهاتف لا شعورياً، ثم اتجهت بسرعة إلى غرفتها وأغلقتها لتستلقي على السرير وهي تفكر والدهشة قد تملكتها... هل يعقل أن يكون هو؟!! وكيف حصل على رقمها ومتى؟! توالت الأفكار عليها بسرعة إلا أنها لم تمنع نفسها من الابتسام وهي تعيد سماع صوته في مخيلتها:

"شخص قتلتيه في السوق قبل يومين"

@@@

جلس الأب والأم والأبناء في الصالة وهم يتناقشون في أمر سلمى. كان من المضحك وصف ذلك الاجتماع بالنقاش، فالأب وضع الجريدة على الطاولة وقال لأم سلمي "تفضلي":

أخوتها لم يكونوا أيضاً في الجو؛ لأن الأكبر مرتبط بموعد مع أصحابه في إحدى الاستراحات لمشاهدة فيلم جديد، والأصغر ينتظر

بين لحظة وأخرى صوت الجرس ليخرج إلى أصحابه لتبلغهم شوارع المدينة ولا تلفظهم إلا مع بزوغ الفجر، والأم صاحبة فكرة الاجتماع لم تكن تحمل إلا فكرة العين التي أصابت ابنتها منذ ما يزيد على شهر. مع هذه الخلفية الموجودة لدى كل منهم لم تكن أم سلمى تحتاج إلى كبير جهد لتنتزع موافقة الجميع على أنها يجب أن تزور أحد المشايخ ليقرأ على سلمى. إلا أن الخلاف كان على الذي يجب أن يأخذها إلى هناك، لم تستطع أم سلمى أن تحصل منهم على شيء بعد ذهاب ابنها الأصغر مع أصحابه، وذهاب الأكبر إلى أصحابه، وانشغال زوجها بقراءة خبر عن انقلاب عسكري في جنوب إفريقيا.

عرفت سلمى بأمر ذلك الاجتماع من أخيها الصغير عادل أو كما يحلو لها تسميته (عدّول)، حيث دخل عليها فجأة واستلقى على سريرها. نظرت إليه وهي تعرف أنه لا يفعل هذه الحركة إلا عندما تكون هناك مشكلة. وعندما سألته عن الذي يضايقه كانت إجابته صريحة وواضحة، وهذا ما يجعله من أحب الناس إليها حيث قال:

"مجتمعين تحت".

"لماذا؟!".

"فيه مشكلة".

استغربت في البداية ثم نظرت إليه نظرة استغراب جعلته يفهم السؤال ويجيب بتلقائية:

"أنت المشكلة".

"أنا؟!".

"نعم. كلهم مجتمعون بسببك".

كان عادل ينتظر منها أن تسأله حتى يشرح لها السبب إلا أنها لم تفعل. جلس عادل قليلاً ثم قام بعد أن علم أنه في واد و سلمى في واد آخر. كانت بالفعل في واد آخر. فلم يبق على اللقاء الموعود إلا ساعات قلائل وهي لا تعرف ماذا تفعل، ومما يزيد المشكلة تعقيداً أنها تعلم أن الحل لا يمكن أن يوجد عند المجتمعين في الأسفل. أخذت تحاول أن تسلي نفسها بأن لقاءها مع زايد ليس الأول من نوعه، فهذه صاحبتها فاطمة أو فطوم كما تسمى في الثانوية، كان الجميع يعرف أنها تواعد فتى أو فتياناً -لا أحد يعلم بالضبط - ومع هذا لم تقطع رقبتها ولم يحصل لها شيء. صحيح أنها في البداية لم تجد من تتحدث معه إلا أنها ومع مرور الزمن أصبحت محط أنظار الفتيات في الفصل. فبعد أن كانت في الفسحة وحيدة تبتعد عنها الفتيات كما يبتعد المعافى عن المجذوم أصبحت فطوم لا تُرى من كثرة المتحلقات حولها. بدأت هذه الطريقة في التفكير تزيل عن نفسها عبئاً ثقيلاً وجعلها تشعر

بتحسن قليل؛ لذا فإنها أخذت تنظر لزايد من الزاوية الأخرى، فهو الوحيد الذي أسمعها كلمات الحب والحنان طبعاً، إذا استثنينا "عدول" من المعادلة. ففي البيت كان الأخوة يعاملونها كما لو أنها خادمة، والأب يعاملها كما لو أنها جارتهم، وفي أحسن الأحوال يعاملها كأنها صبي، وأما الأم فلم تقل لها في حياتها كلمة "أحسنت"، حتى إن سلمى عرفت أن أمها إذا عقبت على عمل عملته بالسكوت فإن هذا يعني أن ما تعمله يكون رائعاً وخارقاً للعادة، وأي خطأ صغير يعني أن تذكر الأم تاريخ سلمى في الفشل منذ أن كانت في المهد وحتى اللحظة الحالية...

قبل أن تتدهور علاقتها بزايد كان هو الوحيد الذي يشغل تفكيرها واهتمامها، وكانت تنتظر بلهفة موعد اتصاله التالي لتسمع تلك الكلمات اللطيفة "حبيبتي، حياتي، اشتقت إليك"، التي لم تسمعها من غيره. وأكثر ما كان يدغدغ مشاعرها، هي تلك المرة عندما حاول أحد الشباب معاكستها في السوق، فانقض عليه زايد من حيث لا تعلم وأشبعه ضرباً ولكماً مما جعل ذلك الشاب يفر من السوق كله. كان منظر زايد وهو يجمع غترته وعقاله من على أرضية السوق لا يوصف؛ لدرجة أنها تمنت أن يتوقف الزمان والمكان لتبقى هي وهو وحديهما..

@@@

كان زايد يستمع إلى الأشرطة الصوتيه التي سجلها لسلمى عندما بادره مازن:

"ماذا فعلت عندما علمت بأنك سجلت محادثتكما؟".

استلقى زايد على السرير وقال وهو ينظر إلى السقف:

"ماذا تتوقع ؟! بكت وبكت ثم بكت".

"أحياناً أحس بأنك متوحش".

"لا تحس ولا تظن، تأكد يا حبيبي بأني متوحش. جلست أنا وهي شهرين نتحدث كل يوم ولم تقتنع بالخروج معي، وأرسلت الهدايا تلو الهدايا ولم ترض بالخروج معي، وضربتك أمام الجميع في السوق ولم ترض بالخروج معي، ماذا تريدني أن أفعل أكثر من هذا؟!"

أخذ مازن يلمس قفاه بعد أن تذكر تمثيلية السوق وقال لزايد:

"بما أنك ذكرت ضربي في السوق لا تنس ما وعدتني به".

قال زايد بعد أن استعاد هدوءه:

"بعد أن أنتهي منها هي لك".

@@@

بعد أن غابت الشمس في ذلك اليوم كان الانهيار واضحاً على سلمى، إذ انتهى ما كانت تسلي به نفسها عن زايد وبطولاته واتضح لديها بعد أن اقترب الموعد أن ما كانت تمني به النفس إنما هو سراب في سراب.

بعد أن اقترب ناقوس الخطر تغير تفكيرها تجاه زايد ١٨٠ درجة، وأخذت تتذكر كيف أنه في اتصالاته الأخيرة أخذ يلح عليها بالخروج، وكان يختصر الجمل الكثيرة التي اعتادت أن تسمعها منه إلى كلمات جوفاء لا تحمل أي معنى. كان مصراً على مقابلتها إلا أنها لم تكن تفكر في ذلك الأمر مطلقاً، مما حدا به إلى أن يسألها بصراحة فاجأتها:

"إذاً لماذا بدأنا هذه العلاقة ؟!".

ردت ببراءة:

"للتسلي".

جاءها الرد منه بسرعة:

" ألا يمكن أن تتسلي مع رفيقاتك ؟! لماذا إذن لا تتسلي مع شاب يعرفك ولا تعرفينه؟! "

سكتت قليلاً ثم قالت بعد أن عرفت ما يرمي إليه:

"اسمع أنا لا أعرف ما الذي ترمي إليه، إلا أني لا أنوي أن أدنس سمعتي وسمعت أهلي".

ضحك زايد ضحكة مدوية وهو يقول:

"إذا ماذا تنوين من محادثتي. هل تعرفين ما هو الفرق بيني وبينك؟ الفرق هو أنني أكذب عليك وأنت تكذبين على نفسك".

قالت بعد أن بلغ بها الغضب مبلغه:

"إذاً أنت تكذب علي".

وأغلقت الهاتف في وجهه. بعد لحظات عاد الهاتف ليرن مرة أخرى، لا تعرف ما الذي جعلها ترفع السماعة إلا أنها فعلت وهو أشد ما ندمت على فعله في حياتها، إذ استمعت مدهوشة مبهورة إلى صوتها وهي تحدث زايد عن معاملة أمها القاسية. حصل ما لم يخطر لها على بال، فقد كان زايد يسجل جميع مكالمتها. سقط الهاتف منها بعد أن عرفت أنها سقطت في الوحل الذي سمعته مرة في أحد الأشرطة الإسلامية، علمت أنها أصبحت رهينة تحت رحمة شاب لا يعرفها إلا جسداً يشتهيه وجسماً يستهويه.

بعد أن أذن المغرب نظرت سلمى من نافذتها لترى الليل قد بدأ يرخي سدوله على الأرجاء. بدأ منظر جيوش الظلام وهي تلتحم مع آخر فلول النهار، مخلفة شفقاً أحمر يشبه لون الدم هناك في ساحة المعركة في أقصى الغرب، يزيد من انهيار سلمى. دخلت عليها أمها فوجدتها في حالة يرثى لها. تمتمت قليلاً ثم خرجت. لم تشعر سلمى بأمها حال دخولها وخروجها، إلا أنها بدأت تسمع صوت المسجل يصدح بالقرآن الكريم. دخلت عليها الأم ومعها ماء في زجاجة، كانت تمسك الماء بعناية ظاهرة، نظرت إليه سلمى بعيون أغرقها الدمع إلا أن الأم بادرتها قائلة:

"المغرب وقت تخرج فيه الشياطين. أخبرتني جارتنا أم سلطان نقلاً عن ابنها سلطان الذي سمعه من إمام المسجد، اشربي هذا الماء سيكون فيه الشفاء بإذن الله".

لم تكن تعلم سلمى هل تبكي أم تضحك مما يحصل، فقد كانت تعلم أن هذا الماء قد شربت منه إحدى جارتها المشتبه بهن، أو أن فيه بقايا شاي أو قهوة أو شيء لا تعرف ما هو، إلا أنها مع ذلك شربت واستسلمت لأمها التي أخذت ترش الماء على رأسها وتغسل به وجهها، ثم أضجعتها على سريرها. نظرت إليها أمها نظرة حانية لم ترها في عينها من قبل واستدارت لتخرج فحدثت سلمى نفسها بإخبار أمها بمصيبتها.

"أمي!!".

التفتت إليها أمها إلا أن سلمى تذكرت أن أمها لن تفعل شيئاً لوحدها؛ لذا فإنها بالتأكيد ستخبر أباها الذي سيخبر أخوتها وسيخرج الخبر لتصبح بعدها كالعلكة في أفواه نساء الحارة أبد الدهر، وهنَّ بالطبع لسن بأرحم من زايد.

"أغلقي الباب معك".

أغلقت أمها الباب وبقيت سلمى وقد ضاق بها الأمر واشتد بها الكرب. كانت تعليمات زايد واضحة إذ إنه أخبرها قبل المكالمة الأخير بلقائها في المجمع نفسه الذي تلاقت فيه العينان أول مرة.

كان زايد يضع اللمسات الأخيرة على هندامه عندما رن الهاتف. تبادل هو ومازن النظرات أعقبتها ابتسامة نصر من زايد اتجه بعدها إلى الهاتف ليرفعه باليمنى وباليسرى كان يحمل عطراً:

"آلو".

أجاب صوت سلمى في الجهة الأخرى:

"زايد؟!".

ضغط على العطر بنشوة النصر ثم أجاب وقد أعبقه العطر:

"زايد يا روح زايد".

"الثوب أحمر".

"راح تكون الليلة حمراء يا روح زايد".

سكتت سلمى قليلاً ثم قالت:

"طيب ما تقدر تخاف الله وتخليني بحالي".

بعد هدوء قاتل جاء ها الجواب:

"أنا ما أخاف من أحد".

ردت متهدجة الصوت:

"طيب ما عندك ضمير؟".

"ضمير... حبيبتي لا تكثري من الأفلام العربية".

أغلق زايد الهاتف ثم نظر إلى مازن الذي استلقى على السرير متابعاً المحادثة وقال:

"تقول ضمير..!!".

ضحك مازن إلا أنه أردف بعد أن أصبح زايد جاهزاً:

"طيب ما فيه احتمال إن الهيئة تكبس عليك".

وقف زايد عند الباب قبل أن يخرج وقال بعد أن فكر للحظة:

"فيه احتمال أن الهيئة تدخل بالموضوع. لكن خبر بالجريدة بأن الهيئة قد اعتدت على شخص محترم بعد أن كان يحاول شراء هدية لوالدته سيكون وقعه عليهم شديداً".

أمسك زايد بعدها بمقبض باب الغرفة في إشارة لمازن بالخروج. أغلق بعدها زايد الباب وابتسامته تتسع شيئاً فشيئاً.

@@@

في المجمع التجاري وفي الموعد المحدد نزل زايد من السيارة بعد أن أوقفها في وسط المواقف لئلا يجلب الانتباه، أراد مازن النزول إلا أن زايداً فاجأه:

"ابق هنا حتى آتي بها".

اتجه زايد إلى المجمع وهو يمتلئ مع كل خطوة زهواً وغروراً بعد أن طوع جميع الوسائل لتطويع الفتاة التي يريد، وإن كانت هي لا تريد. كان ينظر إلى رجال الأمن في المجمع باحتقار وكيف أنهم لا يعدون بنظره أن يكونوا سوى منظر جمالي في المجمع كما هي اللوحات التي تزين المحلات. عندما دخل لم يكن ينظر يمنة أو يسرة كما هو الحال في العادة؛ لأنه الآن قد حدد موقع الفريسة، وقد ربط في عنقها الحبل ولم يبق إلا أن يسحبه بهدوء ليخرجها من المجمع، ثم يفعل بها ما يشاء. في المكان المحدد شاهدها عند محل التجميل نفسه تتسوق. لم يكن يحتاج إلى أن يرى لون ثوبها الأحمر ليتأكد من أنها صاحبته. وقف بجانبها قليلاً ثم مشى فتبعته بهدوء. أراد أن يتحدث معها، إلا أنه ظن أنها بحالة لا تسمح لها بالحديث فسكت. عندما اقتربا من السيارة شاهدهما مازن من المرآة الخلفية فصفق بيديه فرحاً، ثم أدار محرك السيارة. أطلق زايد شتمة في نفسه على تصرف مازن الأرعن حيث إنه قد يجلب لهم الانتباه، إلا أنه رأى أن وقت المحاسبة ليس الآن. فتح زايد الباب الخلفي للسيارة لتركب هي واتجه هو إلى بابه الأمامي ليفتحه. تفاجأ زايد بأن سلمى تجاوزت الباب وتجاوزته هو واتجهت إلى الأمام غير عابئة بمناداة زايد:

"أين؟!! أين ؟!! أين؟!!".

رد مازن وقد توتر:

"ما الذي يحصل؟".

لم يشعر زايد إلا بشخص يقول له من الخلف:

"مساك الله بالخير".

التفت زايد ليرى رجلاً ممتشق الطول كث اللحية يحاول أن يتخذ وضعيته بين سيارة زايد والتي بجانبها، وعندما اتزن في وقفته سدد لكمة لزايد جعلته يدخل إلى داخل السيارة ويصطدم بمازن الذي ما زال يقول:

"ما الذي يحصل؟".

لم يعد زايد يتذكر ما حدث بالضبط بعد ذلك إلا أنه استيقظ بعد مدة ليجد رأسه على فخذ مازن والسيارة تنطلق بهم، ومازن يقول وهو يشير إلى زايد:

"أنا لا دخل لي بهذا ولا أعرفه".

غفا زايد مرة أخرى ليستيقظ على مازن وهو يقول:

"كل شيء كان من تخطيطه هو، أنا حاولت أن أقنعه بحرمة ما يفعله إلا أنه أصر على ذلك".

نظر زايد إلى الشخص الذي يوجه مازن إليه كلامه فكان لا يرى منه إلا قفاه؛ لأنه في المقعد الأمامي وهما في المقعد الخلفي.

وغفا زايد مرة أخرى ليستيقظ وهما في غرفة مفتوحة الباب. وجد زايد نفسه مضطجعاً على أريكة تقابل مكتباً خالياً. كان مازن يجول في الغرفة وقد بانت عليه علامات التوتر الشديد. كانت أي حركة في الممر كفيلة بجعل مازن يقف عند باب الغرفة ليواجه جندياً اتخذ موقعه بجانب. ظن زايد أنه في مركز الشرطة إلا أن مازناً بدد ذلك الاعتقاد عندما أجاب على تساؤل زايد عن موقعهما:

"أين تتوقع بالهاف مون... نحن في الهيئة وقريباً سيصل والدي ووالدك ونكون في ستين داهية".

لم يرد زايد على تعليق مازن وإنما تحسس وجهه ليجد مكان اللكمة مازال متورماً. كان زايد مازال يشعر بالفتور. نظر زايد إلى مازن وقال:

"ما الذي حصل؟".

"الذي حصل أن صاحبتك بلغت علينا، والمشكلة أني أصبحت معك في المشكلة مع أنني لم يكن لي طرف فيها".

اعتدل زايد قليلاً ثم قال -وهو ما يزال يتحسس الورم على وجنته-:

"سلمى بلّغت !! كيف تفعل وهي تعلم أني أملك أشرطة بصوتها وسأفضحها إن فعلت لا... لا يمكن أن تبلغ سلمى عني":

"لا يمكن ؟! انظر إلى الدليل في وجهك لقد أجرى لك عملية تجميل بضربة واحدة كيف يفعل بك هذا دون سبب؟".

أخذ زايد يتلمس وجهه ثم قال:

" دعنا ننتهي من هذه المشكلة وسأريك كيف يكون ردي".

رد مازن ساخراً وهو يلتفت إلى الباب:

"أولاً لن ننتهي من هذه المشكلة، وثانياً لقد كان معك طوال الوقت إلا أنك لم تكن معه... كنت في بلد الأحلام تسبح مع لكمته... يا حبيبي احمد ربك أن صاحبك فيه شهامة، إذ تركك بعد أن سقطت من ضربة واحدة ولم يجهز عليك".

فجأة أخذ مازن يد زايد ووضعها على رأسه وقال:

"هل تحس به؟"

"نعم هناك ورم هل ضربك أنت أيضاً؟"

ابتسم مازن بعد أن أفلت يد زايد وقال:

"لا لم يضربني هو بل أنت ضربتني".

"أنا ضربتك كيف؟".

قام مازن واتجه إلى الباب وقال -بعد أن ألقى نظرة عابرة-:

"لقد ضربتني بعد أن سقطت علي جراء لكمة صاحبنا".

أخذ زايد من جديد يتحسس وجنته.

دخل العسكري وأشار لهما بالخروج، تبعه مازن مباشرة ولحق به زايد بهدوء. اتجه بهم الجندي إلى مكتب في نهاية الممر وهناك وقعت عيناهما على صاحبهما الذي استقبلهما في مواقف السيارة. نظر زايد إلى يديه وعرض منكبيه فعلم أنه محظوظ لأن رقبته لم تتكسر جراء تلك الضربة. اتجهت أنظارهما فيما بعد ذلك إلى الشيخ الذي يجلس على المكتب، كان نحيفاً ذا لحية مسترسلة اختلط سوداها ببياضها، كان هدوؤه ووقاره وبنيته تدل على أنه لا يمكن أن يكون بينه وبين الشخص الذي على يساره نسب دم ولا رضاع. أشار رئيس الهيئة للجندي فخرج، وأشار لمازن وزايد بالجلوس. جلس مازن إلا أن زايداً لم يفعل وإنما اتجه ببصره إلى صاحب القبضة وقال:

"ستندم".

لم يرد عليه وإنما استعاض عنها بابتسامة لم تدم طويلاً على محياه. جلس زايد وبعد لحظات من النظرات المتبادلة قال الرئيس:

"بما أن الكلام بدأ بالندم يبدو لي أنك لم تندم على فعلتك".

رد زايد بهدوء:

"أي فعلة؟! أنا لم أفعل شيئاً يستحق الندم، ما فعله هذا" وأشار إلى صاحب القبضة.

"هو ما سيندم عليه".

نظر الرئيس إلى الذي على يساره ثم قال:

"وماذا فعل هذا.. أقصد سالم".

عادت الابتسامة من جديد لسالم، إلا أن زايداً تجاهلها وقال:

" كنت واقفاً عند سيارتي وفجأة ودون أي سبب وجه لكمة دون أي سبب، وعلى حين غفلة مني. رفع يده سالم بهدوء وقال وهو ما يزال يبتسم:

"تصحيح لقد وجهت إليك لكمة في وجهك، والوجه لا يعد بأي حال من الأحوال غفلة من الإنسان، إلا إن كان الشخص مغفلاً بالدرجة الأولى".

أخذ مازن يهز رأسه موافقا إلا أن نظرة من زايد أوقفته.

"إذاً تعترف بأنك ضربتني. سأرى ما هو ردك عندما ترى صورتي على الجرائد، وأنت تعلم أن الجرائد تحب نصرة المظلومين أمثالي خصوصاً عندما يكون الظالم من الهيئة".

قال سالم بعد أن عادت البسمة لمحياه:

"ضربك شرف لا أنفيه".

عادت حرب النظرات بين سالم و زايد حتى قطعها الرئيس:

"إذاً تدعي أنك لا تعرف سلمى".

قال زايد بهدوء:

"لا أعرف بنتاً بهذا الاسم".

نظر إليه سالم وقال بهدوء:

"تأكد فقد تكون نسيت بعض المعلومات مؤخراً".

لم يعطه الرئيس فرصة للرد وقال:

"إذا كنت لا تعرفها إذاً لا مناص من التسليم بما تقول".

أخرج الرئيس ورقة من المكتب وقال:

"اكتب هنا أنك لا تعرف سلمى وليس لك بها أي علاقة".

نظر زايد متشككاً إلى الرئيس ثم نظر إلى مازن. كان يظن أنه يعرف جميع طرق التحقيق وكيف يتملص منها، إلا أن ما قاله رئيس الهيئة كان مفاجأة له. لم يطل التفكير إذ قال له رئيس الهيئة:

"لماذا التردد، إذا كنت تعرفها اكتب أنك تعرفها، وإن كنت لا تعرفها اكتب أنك لا تعرفها، وأن ما حصل مجرد اتهام باطل".

قال زايد:

"والضرب الذي تعرضت له؟".

"ألست تقول بأنك ستكون بطل الجرائد غداً".

بعد تردد دام لحظات كتب زايد إقراراً ينفي فيه معرفته لسلمى وأن تكون له أي علاقة بها. في هذه الأثناء دخل العسكري وللحظات ثم خرج. بعد أن انتهى زايد من الكتابة سلم الرئيس الإقرار وأشار إلى مازن ليقف استعداداً للذهاب، ثم نظر إلى سالم وقال:

"غداً سيبدأ حسابنا".

نظر إليه رئيس الهيئة ثم قال:

"لماذا غداً؟ الآن سيبدأ الحساب".

ثم خرج صوت مازن من مسجل صغير بيد رئيس الهيئة:

" الذي حصل أن صاحبتك بلغت علينا والمشكلة أني أصبحت معك في المشكلة مع أنني لم يكن لي طرف فيها".

ثم بعد لحظات خرج صوت زايد:

"سلمى بلغت !! كيف تفعل وهي تعلم أني أملك أشرطة بصوتها وسأفضحها إن فعلت لا... لا يمكن أن تبلغ سلمى عني".

قال رئيس الهيئة -بعد أن تغيرت نبرة صوته وأصبحت أكثر جدية وصرامة-:

"هذا الإقرار يقول بأنك لا تعرفها والتسجيل يقول بأنك تعرفها أنت وصاحبك تمام المعرفة، فهل من الممكن أن تحل لي هذه المعضلة؟"

قال سالم وهو يبتسم:

" ألم أقل لك بأنك بدأت تفقد بعض المعلومات مؤخراً".

جلس مازن على الكرسي ووضع يديه على رأسه. نظر إليهم زايد وهو مازال متماسكاً وقال:

"وماذا يثبت هذا ؟!"

أخذ الرئيس نفساً من الهواء وقال:

"سؤال جميل... الإقرار والشريط يثبت أن عملية التعديل التي حصلت لوجهك هي أقل ما تستحق. وأما هذا"

وشغل الرئيس شريطاً آخر حيث ظهرت فيه المحادثة التالية بين سلمى وزايد:

"طيب ما تقدر تخاف الله وتخليني بحالي؟!"

"أنا ما أخاف من أحد".

"طيب ما عندك ضمير؟".

"ضمير... حبيبتي لا تكثرين من الأفلام العربية".

أكمل رئيس الهيئة بالنبرة نفسها:

"يثبت للقاضي الذي ستعرض عليه قضيتك بأنك لا تستحق أن ترحم".

أراد زايد أن يتحدث إلا أن الرئيس أشار له بالسكوت وأكمل:

"وأما هذا...".

وشغل المقطع التالي من الشريط الأول الذي بدأ بزايد:

"دعنا ننتهي من هذا وسأريه كيف يكون ردي".

ثم ظهر صوت مازن واضحاً.

"أولاً لن ننتهي من هذا، وثانياً لقد كان معك طوال الوقت إلا أنك لم تكن معه... كنت في بلد الأحلام تسبح مع لكمته... يا حبيبي احمد ربك أن صاحبك فيه شهامة إذ تركك بعد أن سقطت من ضربة واحدة ولم يجهز عليك".

قال رئيس الهيئة بعد أن تنحنح:

" أقول وأما هذا فيثبت للجميع أنك جبان حقير".

كانت تلك اللحظة الأولى في حياة زايد التي يحس بأنه قد خسر، وليس هناك أي مجال للإنكار؛ لذا فإنه قال بهدوء:

"والمطلوب".

ابتسم الرئيس بعد أن قال:

"أحسنت المطلوب أن تسلمنا الأشرطة التي بحوزتك لسلمى وتكتب بعض الإقرارات والتعهدات ثم ينتهي كل شيء".

قال زايد:

"سأذهب لأحضرها وننتهي".

رد الرئيس:

"ليس أنت بل صاحبك سيذهب ويحضرها مع سالم وأجلس أنا وأنت نتجاذب أطراف الحديث".

نظر زايد إلى رئيس الهيئة ثم إلى سالم وعلم أنه من مصلحته الانتهاء من الموضوع بأسرع ما يمكن...

فقال:

"حسناً".

وبالفعل ذهب سالم مع مازن الذي لم يكتف بإحضار الأشرطة بل أحضر جهاز تسجيل المكالمات بأكمله. بعد أن وقع زايد على المطلوب وقبل أن يخرج قال له رئيس الهيئة بعد أن رمقه بنظرة عميقة:

"إن أخبرتني سلمى بأنك مررت بشارعهم فلن تجد هذه المرونة في المرة القادمة".

أكمل سالم بعد أن حدج زايد بنظرة ذات معنى:

"وسأحرص في المرة القادمة على ألا تقع من الضربة الأولى".

عندما خرج زايد وصاحبه قال سالم لرئيس الهيئة:

"هل تتوقع أن يكون هذا آخر العهد به".

رد الرئيس وهو مازال ينظر إلى الباب من حيث خرج زايد:

"زايد ذكي إلا أن غروره أعلى من ذكائه، فأتوقع أن المقطع الأخير الذي سمعناه من الشريط سيمنعه من الاقتراب منها".

رفع رئيس الهيئة الهاتف واتصل فردت عليه سلمى بعد أول رنه. كانت سلمى البادئة في المحادثة إذ قالت بسرعة:

"هاه بشر يا شيخ".

رد عليها الرئيس بصوت أبوي:

"الموضوع انتهى يا ابنتي ولن تسمعي عن زايد بعد اليوم".

أخرجت سلمى تلك الدعوة من قلبها مختلطة بدمع عينيها

"الله يجزاك خير يا شيخ، الله يبيض وجهك".

رد عليها رئيس الهيئة:

"بنيتي لو كان غيرك لحدثته عن خطر ما حصل إلا أنك عايشت الواقع. الخطأ يتحول إلى فائدة إذا استفدنا منه ويتحول إلى كارثة إذا وقعنا فيه مرة أخرى".

ردت سلمى بعد أن تنهدت:

"لكن المهم أن المشكلة انتهت".

"لم تنته؛ ما تعرضت له جرح سيندمل وسيبقى أثر الجرح ليعتبر به ومنه من كان له قلب أو عقل أو ألقى السمع وهو شهيد. أرجو أن تكوني فهمتِ يا بنيتي".

قالت والدموع قد اتخذت مجرى على وجنتيها:

"فهمت يا شيخ".

قال قبل أن يغلق الهاتف:

"مع السلامة وأسأل الله أن يكون هذا آخر اتصال لك بنا".

@@@

دخلت أم سلمى على ابنتها سلمى وهي مستغرقة في نوم عميق. كان منظر سلمى يوحي بأنها لم تنم منذ أشهر. تنفست أم سلمى الصعداء وخرجت من عندها واتجهت رأساً إلى الهاتف واتصلت بجارتها أم سلطان:

"ألو أم سلطان لقد اكتشفت من الذي أصاب ابنتي بعين".

"نعم لقد عرفتها إنها أم خميس. لقد عادت سلمى إلى حالتها الطبيعية بعد أن شربت من ماء خلطت فيه بقايا فنجان أم خميس".

أغلقت أم سلمى الهاتف قبل أن تسمع جواب أم سلطان، وقالت محدثة نفسها بعد أن وضعت قدماً على قدم:

"لا أعرف كيف يستطيعون العيش بدوني..!!"

تمت بحمد الله،،

"مجموعة قصصية"

طرقة باب..!

تتسارع الأيام بشكل غريب حتى إنك تنسى أنك تدور في فلكها؛ فلا تمتلك من سرعتها الغريبة إلا أن تجاريها؛ لأنك إن لم تفعل فقد يتعداك الزمن وأنت لا تزال في ذهولك!! ومع مجاراتك للزمن - إن سلمنا بأنك قد فعلت - تتراكم أحداث في ذاكرتك، وتموت في مقبرة الذاكرة، فتظن أنها انتهت وتلاشت في غياهب المجهول. لكنها ما تلبث أن تعاود الظهور فجأة لتجدها قد بُعثت من ثنايا الذاكرة؛ لتتمثل أمامك فجأة بجميع أحاسيسها وتفاصيلها كأنها حدثت أمسِ. وهذا ما حدث لي فعلاً عندما بدا شريط الأحداث يمر من أمامي معلناً دخولي إلى بوابة الماضي. كانت الشرارة التي قدحت وأضاءت ذلك المكان المجهول في ذاكرتي والذي ظننت أنه تلاشى إلى العدم هو ذلك المقال الذي تصدَّر إحدى صفحات الجريدة التي استقبلني بها ابني محمد لدى عودتي من الجامعة. في مثل ذلك اليوم بالذات يكون جدولي مثقلاً بمحاضرات مارثوانية ألقيها بين ثلاث كليات في الجامعة، وأحاضر فيها عند غير المختصين، مما يعني حضور أجساد بلا روح، أجبرها الخوف من الحرمان على التصنم أمامي كأنها تماثيل فرعونية. أخذت الجريدة وارتميت على المقعد وأنا أهش في وجه ابني محمد وأبش، ربما مكان المقال البارز وعنوانه الغريب هو الذي جعلني أبدأ به. نظرت إلى الاسم فعرفت صاحبة المقال، وكيف أنسى... نادية!! ما إن انتهيت من قراءته حتى وضعت الجريدة جانباً واسترخيت وأنا

أحاول أن أضبط الصور التي بدأت تظهر في ذهني تترى بعد أن مكثت هناك ما يقارب عشر سنوات...

لم أنسَ تلك الليلة التي كان الطرق فيها على بابنا عنيفاً. ومما زاد من توتري هو أننا قد اقتربنا من منتصف الليل، ولم نكن نتوقع أحداً حيث إن جميع الزملاء (العزاب) قد انفضوا بعد أن تصدقت عليهم بعشاء محلي ينسيهم همَّ الوجبات السريعة التي كانت تزخر بها الولاية التي كنا ندرس فيها. لبست معطفي واتجهت إلى الباب وأنا أسمع زوجتي أم محمد، وقد كانت حاملاً بمحمد آنذاك وهي تتعوذ من الشيطان، وتطلب مني أخذ الحذر؛ لأن القتل هو النتيجة الحتمية إذا تأكد السارق أن الذي معك أكثر من ثمن الطلقة..!!

اقتربت من الباب وقد دجج بجميع وسائل السلامة - بناء على أوامر أم محمد. نظرت من العين السحرية للباب فرأيت ما لم أتوقع ولا أتخيل. أعدت النظر لأتأكد فكان ما رأيته في الثانية مطابقاً للنظرة الأولى، فتاة شابة ذات سحنة عربية تميز وجهها بحبة خال توسطت خدها مما جعلها - وإن أغضب هذا الكلام أم محمد- أكثر جمالاً وأناقة.

لم أجد بداً من فتح الباب، ففتحته وأنا أسمع أم محمد خلفي تقول وهي مبهورة:

"ماذا تفعل؟!"

وما إن فتح الباب حتى بادرتني ضيفتنا قائلة بلهجة (ديرتنا) التي لا يمكن أن أخطئها:

"السلام عليكم".

ربما تلك اللهجة هي التي جعلتني أقول وأنا أزيل السلاسل التي أصرت أم محمد على أن تغل بها الباب:

"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... تفضلي".

لا أدري لماذا اتجهت عيني إلى أم محمد وأنا أدعو ضيفتنا للدخول، والتي رأيتها تتمتم مستغربة وهي تنظر إلي:

"تفضلي".

أشرت إلى ضيفتنا بالدخول. وما إن رأتها أم محمد حتى أخذتها الدهشة لدرجة أنني خفت أن يحصل لها مكروه، فبادرتها وأنا أغمز لها بعيني:

"أم محمد، تفضلي عندنا ضيفة".

أحسست بالغرابة من كلمة (ضيفة) وأظن أن ذلك يعود إلى ندرة استخدامي لها. اقتربت أم محمد بهدوء حيث عقدت الدهشة لسانها مما حدا بي أن أقول ملطفاً الجو:

"سلمي على الأخت".

نظرت إليها مستفهماً. فردت باستحياء:

"نادية".

قالت أم محمد بحياء أشد وقد بدا لسانها ينفلت:

"حياك الله".

ردت صاحبتنا بابتسامة ودية:

"الله يخليك".

تأكدت من أن الدهشة مازالت تضرب بأطنابها على تفكير أم محمد حينما قالت:

"سأجهز العصير".

رددت بسرعة بعد أن أوقفتها بيدي:

"أنا الذي سأجهز العصير".

قالت نادية بصوت متهدج وهي تنظر إلينا:

"في الحقيقة أنا.. أنا لا أريد شيئاً.. أنا.. أنا" ثم أجهشت بالبكاء بعد أن احتضنت وجهها بكفيها. كان المنظر حزيناً، وهذا في الحقيقة ما كان ينقص أم محمد، مشهد بدايته مرعبة ونهايته حزينة. أخذت أم محمد تحاول التهوين على نادية وهي تبكي معها. كم هي طيبة أم محمد، تحب المشاركة في جميع الأعمال حتى في البكاء..!!

لم أرَ أفضل من أن أجهز العصير و أعود وقد هدأ الجميع. وبالفعل عندما عدتُ ومعي العصير كانت ضيفتنا قد تماسكت قليلاً. قدمت العصير لأم محمد التي كانت أسوأ حالاً من ضيفتنا. تناولت أم محمد العصير وناولته نادية وهي تعتذر:

"المعذرة، فهذا ليس الواجب، لكن نحن في بلاد لا تعرف الواجب".

هكذا هي أم محمد، عندما تسيل الدموع من عينيها تسيل الدرر من فمها. قلت بعد أن هدأ الجو وتماسك الجميع:

"والآن هل يمكن أن تحدثينا عن مشكلتك لنرى كيف يمكن أن نساعدك".

حاولت أن تتماسك وقالت بصوت متهدج:

"أنا اسمي نادية، وقد أرسلني والدي هنا للدراسة".

أكملت أم محمد وهي ما تزال في شاعريتها:

"مع زوجك"؟

ترددت قليلاً ثم قالت:

"في الحقيقة لا".

تابعت أم محمد:

"آه، أتيت إلى هنا مع أخيك"؟

"لا. لم يأتِ معي أحد".

لم أكن أعرف أن لأم محمد عينين واسعتين إلا في هذه اللحظة، فقد اتسعت عيناها واحمر خداها، فقالت وهي ما تزال تحاول أن تحافظ على هدوئها:

"هل تريدين القول بأن أباك أرسلك إلى هنا... وحدك"؟

قالت وهي تنظر إلى الأرض:

"في الحقيقة نعم. ولهذا أنا هنا. لا أعرف كيف أشرح لكم وضعي. لم أشعر بحياتي بمثل هذا الشعور من قبل. كنت قبل أن آتي إلى هنا أدعي الشجاعة، أما الآن فإن الخوف يسيطر علي.. بل.. بل.. الرعب.. نعم الرعب هذه أنسب كلمة لحياتي هنا في بلد بدأت أشعر أنهم من كوكب آخر... أنا لا أعرف ماذا أفعل". ثم انفجرت باكية مرة أخرى. لم تشاركها أم محمد البكاء هذه المرة بل لزمت الصمت وقد أخذتها الصدمة إلى عالم آخر. لما رأيت الوضع وصل إلى هذه النقطة قلت لها وأنا أحاول أن أبدو هادئاً:

"أظن أن الوقت متأخر؛ لذا يمكننا مناقشة ذلك في الغد إن شاء الله".

التفتّ إلى أم محمد وأنا أقول:

" لماذا لا تجهزين للأخت نادية مكاناً تبات فيه"؟

قالت نادية وهي تمسح الدموع من عينيها:

"أشكركم، أنا أسكن في فندق قريب من هنا وسأذهب إليه".

ثارت أم محمد وهي تمثل الأصول العربية:

"فندق؟ ووحدك ؟! أعوذ بالله. ستسكنين معنا حتى يفرج الله أمرك".

"شكراً لكم. حقيقة لا أعرف كيف أشكركم، فقد أزاحت عني هذا الجلسة الكثير من الهموم التي لازمتني في الأيام الماضية حتى إنني فكرت في الانتحار، إلا أنني أشعر الآن بأن أموري تتجه للأحسن خصوصاً بوجود أناس مثلكم يشعر المرء بالأمان وهو يعيش بالقرب منهم".

قاطعتها أم محمد وهي ما تزال في ثورتها العربية:

"تقصدين معهم؟"

لو كانت هناك جائزة نوبل للكرم لحازت عليها أم محمد دون منافسة. ردت نادية على هذه الدعوة بقولها مصحوباً بابتسامة:

"لا أريد أن ضيق عليكم، وأرجو أن تأذنوا لي".

لا أدري لماذا نظرت إلي أم محمد بعد ذلك، إلا أنها ما إن فعلت حتى قلت على الفور:

" أظن الغرفة الشرقية تصلح لأن تكون لضيفتنا. أليس كذلك يا أم محمد؟"

ردت أم محمد بحزم:

"نعم".

كانت هذه هي الضربة القاضية التي جعلت نادية تستسلم وتنقاد طائعة مع أم محمد إلى الغرفة. جلست في غرفتي أفكر فيما حصل حتى دخلت علي أم محمد التي قالت بعد أن أغلقت باب الغرفة:

"ليس لهذه البنت إلا واحد من اثنين؛ زوج أو الديرة".

@@@

في الصباح اتجهت إلى الكلية وهناك في الكافتيريا وجدت طارقاً كما توقعت، حيث إنه لم يتزوج بعد، ولهذا فهو كما أسميه دائماً أسير المطاعم. وعلى الرغم من كون والده واسع الثراء وقد أرسله للدراسة على حسابه، فإنه لم يتزوج بعد؛ لأنه كما يزعم يحب الحرية. كانت الفطيرة تكاد تختفي بين قبضتيه القويتين إلا أن بقاياها التي لم تظهر على فمه الصغير توحي بوجودها. لم يؤثر غنى والده في طباعه، فهو دائماً منبسط مع الجميع، حاضر النكتة، حازم الرأي إذا حزب الأمر. تعجبني آراؤه القوية، ولهذا فهو

مستشاري الخاص. أخذت مقعداً بجانبه وأنا أحمل معي فطيرتي وقلت له بعد أن سلمت عليه:

"كيف حال فتى المطاعم"؟

أجاب وهو يقضم الفطيرة:

"ينتظر دعوة منك".

"حسناً، أنت مدعو للغداء هذا اليوم".

قال وهو يضع ما تبقى من الفطيرة جانباً:

"وأخيراً سأذوق طعم الكبسة ثانية. هاه أخبرني ما الذي حصل؟

لم أملك إلا أن أبتسم من فطنته:

"كيف عرفت أن هناك شيئاً قد حدث؟"

قال وهو يمسح فمه بمنديله:

"الأمر بسيط. أولاً نفحاتك الحاتمية لا تهبُّ إلا مساء.

ثانياً: ليس من عادتك أن تفطر هنا".

رددت بعد أن قضمت فطيرتي:

"أحسنت. هناك أمر أحب أن أستشيرك فيه.

"ممتاز، أتخبرني الآن أم أذهب إلى العجوز إليزا، فقد وعدتنا بمحاضرة رائعة عن الأصوات عند الشرق آسيوين؟".

"أظن أني أحتاجك أكثر من إليزا".

وبالفعل أخبرته بما جرى البارحة، وعن وعدي لها بمناقشة موضوعها اليوم، وعندما انتهيت من كلامي. قال وهو ينظر إلى قدح الشاي أمامه:

"الناس هنا يحسبون ألف حساب قبل أن يرسلوا أبناءهم للشرق الأوسط، وهذا الأحمق يرسل ابنته إلى هنا. لا بد من الاتصال به".

أخذت نفساً عميقاً وأنا أقول:

"هل تتوقع أنَّ منْ يرسل ابنته بالطائرة وتقر عينه وبينهما آلاف الأميال، هل تتوقع أن يقتنع بمجرد مكالمة"؟

نظر طارق إليَّ وقد ارتسم على وجهه الجد ونادراً ما يفعل:

"أنا لا أعرف ما هي ردة فعله، ولست ملزماً بتحليلها، وإنما أنا ملزم بردة فعلي وتحليلي".

هذا هو طارق كما عرفته. يتخذ قراره بكل جرأة ولا تهمه العواقب. اتصلت بأم محمد وطلبت منها رقم جوال والد نادية. بعد أن حصلت على الرقم نظرت إلى ساعتي فإذا هي تقترب من الثامنة فقلت لطارق:

"الساعة الآن في الديرة تقترب من منتصف الليل".

أجاب طارق بسخرية واضحة:

"هذا يعني ذروة السهر عندهم".

لم أعقب لأنه يعرف تلك المجتمعات أكثر مني. اتصلت على الجوال فرد عليّ صوت أجش يختلط صوته بمجموعة من الأصوات تتحدث خلفه.

"السلام عليكم".

"وعليكم السلام. من معي؟"

"معك سلمان".

"أهلا وسهلا".

كان واضحاً من نبرة صوته أنه يقول: وماذا تريد؟

"في الحقيقة ابنتك نادية عندي في الشقة مع..."

قاطعني بسرعة:

"نادية! ماذا بها؟ هل حصل لها مكروه؟"

"لا، لم يحصل لها إلا كل خير، وهي بصحة وعافية، لكن...."

"انتظر. دقيقة".

وبعد لحظات أجابني الصوت نفسه لكن بوضوح أكثر وقد اختفت تلك الأصوات التي كان تشوش عليه:

"من أنت؟ وماذا حصل لنادية؟"

"ليس المهم أن تعرف من أنا، إنما المهم أن تعرف أني رجل غيور، وقد أخذتني الحمية والغيرة وأنا أرى ابنتك وحدها في هذه البلاد. وفي الحقيقة أظن أنه ليس من الحكمة أن ترسل ابنتك للدارسة وحدها".

هنا بدأ الرجل يزمجر عالياً:

" ترى.!! ترى...؟ ومن أنت حتى تحكم وتقرر وترى !!"

وبالقوة نفسها أجبته:

"أنا شخص طرقت عليه ابنتك في منتصف الليل وهي تبكي وترجو مساعدته".

بدأت أسمع صوت أنفاسه وهو يقول:

"اسمع، هذه ابنتي وأنا أعرف بمصلحتها منك، دعها ولا تتعرض لها".

بدأ الغضب يبلغ منتهاه عندي وأنا أقول:

"أتعرض لها!! أترسل ابنتك لتعيش بين ثلاث مئة مليون نصراني وتقول: أتعرض لها!! وهل يهمك أن يتعرض لها أحد؟"

كان طارق في البداية يهز رأسه موافقاً، ولكن عندما وصل الحديث إلى هذه النقطة لم يتمالك نفسه، فأخذ الهاتف وقال مباشرة:

"اسمع يا هذا، لقد رأيت العديد من الناس هنا تنقصهم الغيرة إلا أنك تفوقت عليهم بنقص في الغيرة والعقل".

أبعد طارق السماعة عن أذنه ونظر إليها وهو يقول بأسى:

"تباً. كنت أريد أن أغلق السماعة في وجهه، إلاّ أنه فعلها قبلي".

@@@

في الساعة الثانية بعد الظهر بعد انتهاء محاضراتي لذلك اليوم كنت أنتظر طارقاً في مطعم الكلية، وقد أبحرت بي الأفكار شرقاً وغرباً. فلا أدري هل كان من المفترض أن نكلم ذلك المخلوق؟ بدا لي الأمر واضحاً أننا باتصالنا به زدنا الطين بلة، وجعلنا الأمور تتجه إلى الأسوأ، ولكن هل كان هناك حل آخر؟

عندما عقدت العزم على السفر لهذه البلاد كنت قد وضعت أمامي جميع الاحتمالات، وتوقعت جميع المشكلات إلا هذه المشكلة، فالمصيبة مزدوجة. فهنا مجتمع منحل، وهناك ولي أمر فاسد، وبينهما فريسة ضعيفة تحاول النجاة. قد أفهم بأن يكون هناك رجل فاسد أو أن يكون هناك آخر مفسد، ولكن كلاهما يحافظان على عرضيهما ويموتان دونه. أما أن يأتي من لا يخاف على عرضه وينام قرير العين وابنته تعيش في مجتمع لا يعرف حراماً، بل ولا عيباً فهذا الذي لا أفهمه. أمر آخر حيرني... أليس لها أم أو أخ

أو على الأقل رجل في العائلة عنده غيرة؟! أكاد أجزم بأنه لو كان أبو جهل يسكن في الحارة نفسها وعلم بما حصل لأفنى العائلة عن بكرة أبيها، وربما تعدى الأمر ليقتل أهل الحي جميعاً؛ لأنهم سكتوا.

"أين ذهبت؟"

نظرت فإذا طارق قد وقف أمامي ولم أشعر به.

وقلت وأنا أحاول النهوض:

" إلى أبي جهل".

"أظنه لو كان حياً و سمع بقصة صاحبتك لانتحر".

لا أعرف كيف يفهم بهذه السرعة...

عندما وصلنا إلى البيت وفتحت الباب سلمت قبل الدخول حتى لا تفاجأ ضيفتنا، ولكني عندما دخلت لم أجد العازل الذي صنعته أم محمد ليفصل بين الرجال والنساء. أدخلت طارقاً إلى الصالة واتجهت إلى المطبخ، وهناك وجدت أم محمد فسألتها عن نادية، فقالت:

"لقد ذهبت".

"ذهبت؟" لماذا؟ وإلى أين؟

قالت وهي تعد الشاي والقهوة:

"أما إلى أين فأظنها ذهبت إلى الفندق. وأما لماذا فقد اتصل بها والدها، وقالت لي: يبدو أنه غاضب ثم انصرفت".

اتجهت إلى طارق وأخبرته بالخبر فقال وهو يقلب مجلة وجدها أمامه:

"إذن معها جوال. لم أكن أعرف أنه بهذا الحرص".

"والحل؟"

رد علي طارق وهو لا يزال يقلب صفحات المجلة:

"أما بالنسبة للغداء، فلا تهتم بحصتها، وأما بالنسبة لها هي فلا أظن أنك ستراها في المستقبل القريب".

تركت طارقاً والتفتّ ملبيا نداء أم محمد من داخل المطبخ، وعندما وصلت وجدتها قد جهزت القهوة والشاي. رأت أم محمد ما بي من الهم فقالت مخففة:

لا عليك، لقد عملت كل ما بوسعك. وأظنها ستعود قريباً.

ولكن طارقاً لم يكن يظن ذلك. نظرت إليها وقد قدح كلامها في رأسي سؤالاً":

"الأمر الذي يحيرني كيف عرفتْ بمكان سكننا؟ ومن الذي دلها علينا؟

"سألتها السؤال نفسه، فقالت: إنها كانت تسأل من يومين عن عائلات عربية، وقد دلت في البداية على عائلة فتحي المصري الذي يسكن في البناية المجاورة فدلوها علينا".

بدأت الأسئلة ترد إلى ذهني بصورة متتابعة وقد وجدت في ذلك سلوى عن التفكير في حالها الآن فقلت:

"طيب. لماذا لم تأتِ في وقت مبكر؟"

تقول: إنها بعد أن عرفت أننا من البلد نفسه كانت مترددة، بل إنها قد جاءت ورجعت من عند الباب أكثر من مرة حتى حزمت أمرها وأتت وهي غير مبالية بالوقت أو بأي شيء آخر إلا بأنها لا يمكن أن تعيش وحدها في مثل هذا المجتمع.

اتجهت إلى الصالة وأنا أتمنى أن أتصل بوالدها لأبصق في وجهه.

"يبدو أن الهم على نادية سيقتلك".

نظرت إلى طارق وهو يداعب تمرات لا تخرج في أي مناسبة، فقلت:

"هل تعلم أن النساء نصف المجتمع؟"

قاطعني وهو يصب لنفسه فنجاناً من القهوة:

"الإحصائيات الأخيرة تثبت أن نسبة النساء أكثر من الرجال في العالم".

"وهذا ما يزيد الطين بلة. ماذا تتوقع أن يحصل إذا كانت نسبة نوعية نادية في مجتمعنا عالية؟"

"تقصد أبا نادية؟"

قلت وأنا لم أفهم:

"أبا نادية؟"

"نعم أبا نادية؛ لأنه لا بد وأن يكون عنده غير نادية وهو يجهزها الآن للسفر لتلحق بأختها. وأما نادية فلا تستطيع أن تجهز أختها للسفر، بمعنى آخر: لا يمكن أن تجهز أختها لتضيع مثل حالها الآن".

أعدته للموضوع الأساسي قائلاً:

"وهل نترك نادية تضيع؟"

"يبدو لي أن عندك مشكلة في استخدام الألفاظ".

"نظرت إليه مستغرباً: ماذا تقصد؟"

قال بعد أن ألقى تمرة في فمه:

"أقصد أننا لن نترك نادية، ولكنها ستتركنا".

وضع طارق فنجانه جانباً وأكمل بصوت هادئ:

"أي: بكلمات أوضح أتوقع أن يكون هذا هو آخر العهد بها".

ولم يكن الأمر كذلك، إذ بعد شهر أو شهرين لا أذكر بالضبط أيقظنا طرق على الباب قريباً من منتصف الليل. اتجهت إلى الباب وأنا أكاد أجزم بأن الطارق هو نادية. نظرت إلى الطارق من خلال العين السحرية للباب فلم أصدق عيني. فتحت الباب بسرعة وأنا أقول:

"هل أرسلك أبوك إلى هنا وتشعر بالخوف؟

نظر إلي طارق وقال:

"أرسلني أبي نعم.. ولكني لا أشعر بالخوف، وإنما بالغضب".

"غضب؟ لماذا؟"

عندها تذكرت أني لم أدعه للدخول.

"عفواً نسيت، تفضل".

"لم آتِ في منتصف الليل لأتفضل. قل لي: هل لنادية حبة خال على خدها الأيمن؟

غابت عني الذاكرة قليلاً إلا أن حبة الخال كانت مميزة لها.

"نعم، لماذا؟"

قال وهو يزفر بغضب:

"إذن هي. هيا البس، وسأنتظرك عند باب البناية".

توجه إلى الدرج بسرعة فسألته:

"ماذا حصل؟"

توقف في منتصف الدرج وقال لي:

"لقد رأيتها وهي تتأبط ذراع أحد الأوغاد قبل قليل".

كان الخبر صدمة لي. كأنه لم يخبرني وإنما صعقني. نعم كانت هذه هي النهاية الطبيعية... أو إن شئت فقل: بداية النهاية. وهل المفروض أن نتوقع أن نجدها وهي ممسكة بمصحف؟ ولكن وقوع المصيبة ليس كتوقعها. حتى طارق الذي كان بارداً عندما ذهبت في المرة الأولى لم يكن كذلك الآن. تباً لهذا الأب، ألا يغار؟

نظرت إلى أم محمد وأجبت عن أسئلتها الكثيرة التي لم أفهم معناها بكلمتين:

"لن أتأخر".

ذهبت مع طارق إلى المكان الذي رآها فيه. لم نتحدث طوال الطريق. كنت لا أزال أوبخ نفسي، فأنا السبب. جاءتني إلى البيت تطلب مساعدتي وتركتها تذهب ببساطة؛ فقط لأن أباها غضب وأمرها بأن تخرج من عندنا... كم أنا أحمق، وهل يُتوقع من ذلك المخلوق أنه سيأمرها بقيام الليل وصيام النهار؟

وصلنا إلى المنطقة، وعلى الرغم من مكوثي في هذه المدينة ثلاث سنوات، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تطأ فيها قدمي مثل هذه الجهة. كانت المحلات ذات واجهات غريبة وأصوات الديسكو تخرج من بعضها. وأما الناس فهم خليط عجيب من الألوان، فهناك نساء، وهناك ورجال، وهناك من هم بين الصنفين، لم أملك نفسي من توجيه السؤال لطارق:

"كيف أتيت إلى هنا؟"

أجاب وهو ينظر إلى المحلات: لم آتِ إلى هنا، ولكني رأيتها تتجه إلى هنا بصحبة أحد أبناء الشوارع حيث كنت في بداية الشارع أشتري عشاء.

تمتمت وأنا أنظر معه إلى المحلات:

"جزى الله خيراً أم محمد فقد كفتني هذا الأمر".

"تلك هي".

نظرت إلى الجهة التي أشار إليها طارق، فإذا هي بالفعل بشحمها ولحمها، وأما ثيابها فلا!!

نظرت إلى مرافقها، فإذا هو علج لا أشك في أنه لا يعرف أباه وقد نسي أمه. وبهدوء اتجهت إليها، وعندما رأتنا علتها الدهشة واضطربت قليلاً. كان ذلك المعتوه لا يزال يتحدث إليها، ولكنه لما لم يجد منها تجاوباً، انتبه لوجودنا.

قلت له بهدوء: إنها أختي وأريد الذهاب بها. سكت قليلا ونظر إليها إلا أنها لم تجب. قال طارق موجهاً الحديث إليه بعد أن اقترب منه حتى كاد أن يلتصق بوجه:

"ما الأمر؟ هل هناك مشكلة؟"

جفل الشاب واعتذر، ثم ابتعد عنها فانطلقنا بها. لم أشأ أن أتكلم حيث كنت أريد أم محمد أن تتولى المهمة، ولكنها بادرت بالهجوم:

"أظن بأنه لا يحق لكما أن تتدخلا في حياتي الخاصة".

تمتم طارق وهو ينظر إلى المباني على جانب الطريق:

"لم أتصور أن هناك من يحفظ الدستور الأمريكي في ظرف شهرين".

أكملتْ وكأنها لم تسمع تعليق طارق:

"أنا أعرف ما تفكرون فيه إلا أن تفكيركما خاطئ. جون أخ لزميلتي في السكن، وقد تعرفت إليه عن طريقها، وكان المفروض أن تكون..."

لم تكمل، حيث حاصرنا ثلاثة من الشبان رابعهم جون. تمتم طارق بعد أن نظر إليهم:

"وهؤلاء أهم أصدقاء زميلتك أم أخوة جون؟"

كان واضحاً أنهم لم يأتوا لمناقشة مشكلة ارتفاع الضرائب عندهم ولا مشكلة غلاء المهور عندنا. نظرت إلى المنطقة التي نحن فيها فإذا هي شبه خالية من السكان، وهذا يدل على اختيارهم الدقيق. تقدم جون وهو يتمتم ساخراً:

"أتظن أنه يحق لك بأن تأخذ صديقتي"

ثم التفت إلى أصحابه وصاح ساخرا:

"هيه، ما رأيكم يا رفاق؟ يقول: إنها أخته".

قال أحدهم وهو يضغط على عصا في يده:

"دعنا نكسر عظامهم ونرسلها في أكياس صغيرة لأهلهم.

هذا ما ينقص أهلنا، بريد به عظامنا مكسرة. اقترب جون وكانت نادية تحاول تهدئته إلا أنه أزاحها عن طريقه. في تلك اللحظات العصيبة تذكرت (خلف) زعيم الحارة أيام الصبا؛ إذ كان يجمعنا في إحدى الزوايا ويعطينا التوجيهات والنصائح الإرشادية في المعارك والمشاجرات. كانت أهم نصيحة يرددها دائماً هي: "إذا جد الجد كن أنت البادئ تكن أنت الفائز". وبناء على تلك النصيحة فما إن كان جون في مرمى يدي حتى كانت قبضتي قد نشبت بين أسنانه.. وبدأت المعركة. كان من المفترض أن يكون من نصيبي اثنين ومن نصيب طارق اثنين إلا أن ذلك لم يحصل. فقد كانت قوتي لا تتحمل إلا نصف واحد من نوعية جون. اشتبكت أنا وجون، ولم أدرِ

ماذا حصل لطارق في البداية حيث كنت مشغولاً برد اللكمات التي يسددها الثور الذي أمامي. بدأت قوتي تنهار وأنا أتلقى سيلاً جارفا من اللكمات ممن كان كما علمت فيما بعد أنه عضو في نادي الملاكمة التابع للجامعة. كنت أسمع صرخات بجانبي وحيث إنها لم تكن مني وبالتأكيد لم تكن من الثور الذي أمامي؛ لأنه كان في وضع مريح، فقد خمنت أنها تصدر من رفيقي طارق. وبعد لحظة توقف جون عن تسديد القذائف باتجاهي. نظرت إليه فإذا هو قد اشتبك مع طارق. كان طارق هو الذي يصدر الصيحات - وليست الصرخات كما اعتقدت - مع كل لكمة يسددها لجون. نظرت إلى أصحاب جون فإذا الأول منهم قد توسط الشارع بلا حراك، وأما الآخر فقط توسط مجموعة من الأخشاب بجانب إحدى المستودعات، وأما الأخير فقد جلس على ركبتيه وهو ممسك ببطنه. نظرت إلى طارق وجون وقد أخذ كل منهم موقعه وهو ينظر إلى الآخر. نظر طارق وقال مبتسماً:

"إلى الآن وأنا في وضع دفاعي، ولكن الحال سيتبدل ياصاحبي".

نظر إليه طارق نظرة من لا يحب أنصاف الحلول. كان القلق بادياً على وجه جون إلا أن الحظ حالفه في اللحظة الأخيرة حيث داهمتنا أصوات سيارات الشرطة. اتجه جون بسرعة إلى رفاقه وساعد أحدهم على النهوض بينما ساعد المبطون الآخر. غادرنا

جون ورفاقه وهو يتوعدنا بلقاء آخر. صاح طارق والابتسامة الماكرة تعلو وجهه:

"أنا بانتظاركم".

ثم التفت إلي وقال:

"لقد أعادوا لي أيام الشباب. توقفت عند الحزام الأسود (٢ دان) ولو أكملت لأرسلتهم بأكياس إلى أهلهم".

لم تعد تحملني قدماي فقلت وأنا أستعد للجلوس على قارعة الطريق متلمساً بعض جراحي:

"وأنا كذلك أعادوا لي ذكريات الحارة".

توقفت سيارتا شرطة بالقرب منا، فاقتربوا منا بحذر وسلطوا أضواءهم الكاشفة علينا، فاتضح لهم ولنا أنه لا يوجد في المنطقة أحد سوانا. بعد أن تأكد الرقيب أننا عزّل اقترب منا ونظر إلي ثم وجه كلامه لطارق:

"هل صاحبك بخير؟"

"أظن ذلك، لكنه يحتاج لإسعاف".

" هل يمكن أن تشرح لي ما الذي حصل؟"

"الأمر بسيط، تمييز عنصري من بعض الشبان".

هز الرقيب رأسه وقد وجد في لكنة طارق العربية ما يؤيد قوله ثم قال:

" فهمت. هل يمكن أن تتفضل معي أنت وصاحبك إلى مركز الشرطة"؟

"بكل سرور، ولكن بعد أن يتلقى صاحبي العلاج اللازم".

كانت الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً عندما وصلت إلى الشقة. وعندما وقفت عند الباب تذكرت أنني لم آخذ معي المفتاح فطرقت الباب. وكلمح البصر فتح الباب. نظرت إلى أم محمد ثم شهقت وهي تقول:

"حادث".

رددت بعد أن اتكأت على الجدار:

"أظن أن القصة أطول من أن أشرحها عند الباب".

دخلت بعدها واتجهت مباشرة إلى السرير، وبعد لحظات دخلت علي أم محمد بصينية ملئت بشتى أنواع الأدوية الشعبية التي أخذتها من جارتنا أم عزيز أشهر عطارة في الحارة. كانت أم محمد تستحثني على ذكر التفاصيل، فسردت ما أذكر من أحداث تلك الليلة الرهيبة مع تجاوز بعض الأحداث التي لم أكن فيها بكامل قواي العقلية. تمتمت أم محمد وهي تضع ثلجاً على إحدى الكدمات:

"مسكين طارق، ليس هناك أحد يعتني به".

لم أستطع أن أرد زفرة خرجت من صدري وأنا أقول:

"نعم مسكين".

كان يراودني شعور بأن جون أرحم من أم محمد وهي تعارك جروحي.

"وماذا حصل لنادية؟"

سبب لي ذكر اسمها ألماً أكثر من لكمات جون وأدوية أم محمد. نظرت إلى أم محمد ثم قالت وهي تخلط مساحيق عدة لتبدأ جولة جديدة:

"ما لك لا ترد؟"

"لأنني أتمنى أن يكون هذا هو آخر العهد بها".

ولم يكن الأمر كذلك؛ إذ بعد أسبوع أو أسبوعين من الحادثة عدت إلى البيت من الجامعة، وعندما حاولت فتح الباب بالمفتاح الذي معي فوجئت بأن الباب موصد من الداخل. طرقت الباب، فأطلت علي أم محمد بنظرات حادة ذكرتني بمناقشاتنا الحامية حول ضبط ميزانية المنزل. نظرتْ إلي طويلاً قبل أن تقول:

"نعم ..؟!"

آخر شيء توقعت أن ترد به علي. إلا أنني قلت وأنا أحاول أن أخفي دهشتي:

"أظن أنها شقتي، وأظن أني أعرفك، ألست أنت.... زوجتي؟"

"نعم، ولكن عندي ضيفة اسمها نادية".

لا أدري لماذا اتجهت يداي مباشرة إلى الكدمات التي ما زالت تزين وجهي. أكملت أم محمد وهي تمسك مقبض الباب:

" أقترح أن تقوم بزيارة طارق".

@@@

"هكذا أنتم يا معشر المتزوجين تظنون أنكم ملوك، وأن غيركم يعيش في متاهة".

رددت على طارق وأنا أحاول أن أجد لي مكاناً بين أغراضه المبعثرة في كل مكان:

"في الحقيقة هذا هو أحسن وصف للمكان الذي تعيش فيه".

حدجني بنظرة قوية ثم قال:

- "سلمان".

- "سم".

- "قطّع السلطة".

هذا ما استفدته من نادية إهانات جسدية ونفسية. مازحت طارقاً وسألته عن جون: ألم يحتك بك؟ فرد علي وهو في المطبخ:

"لا أظن أنه يود الاحتكاك بي ما لم يحصل على الحزام الأسود".

لم تخرج نادية من عند أم محمد إلا بعد العصر، وخلال ذلك الوقت كنت تحت رحمة طارق الذي لم يدعني حتى أخذ مني موعدين على العشاء يشترط في أحدهما أن يكون في عطلة نهاية الأسبوع. عندما وصلت إلى الشقة وجدت أم محمد قد استقر بها المقام على أريكة طويلة في الصالة. كان خداها المتوردان دليلاً على أنه كان هناك نقاش حامٍ. باغتّها قائلاً بعد أن جلست أمامها:

"ماذا تظنين؟"

نظرت إلي بهدوء، ثم استقرت عيناها على مزهرية توسطت المسافة فيما بيننا:

"لا أظن أن الذي أرسلها إلى هنا قد رباها على مكارم الأخلاق".

كم هي رائعة أم محمد إذ توصلت إلى نتيجة. كل شيء فيها يبدو رائعاً. عيناها الواسعتان، شعرها الضارب إلى الحمرة و فمها الضيق الذي يبدي أسناناً هي أقرب إلى الجواهر إذا رصت إلى بعضها. اقتربت منها وأنا أقول:

"هل من الممكن أن تفصلي قليلاً؟"

أخذتْ نفساً عميقاً ثم قالت:

"لا أعرف كيف بدأ الحديث إلا أنني حاولت أن أفهمها أن ما قمت به أنت وطارق هو ما كان ينبغي على أبيها وأخيها أن يفعلاه إذا رأوها في الموقف نفسه إلا أنها قاطعتني قائلة:

"المشكلة أنكم لا تفهمون الحياة".

سألتها بهدوء:

"هل من الممكن أن تشرحي لي الحياة؟!"

"الحياة هي أوسع من أن تحشر في جلباب، وهي أوسع من أن يسيطر عليها أناس قد حكم حياتهم الشك والريبة. الحياة بمعنى آخر هي ملك للجميع، ولا يحق لأحد أن يمنعها عن أحد".

"أتفق معك في جملتك الأخيرة وهي أن الحياة ملك للجميع، ولكن هل يعني هذا أنه يحق لي - بما أن الحياة ملك لي - أن أتعدى على ملكك في الحياة؟؟

"لا".

"ممتاز. إذن حياتي وحياتك وحياتنا جميعاً ينبغي أن تكون تكاملية، أي: بمعنى آخر ينبغي على حياتي أنا وحياتك أنت وحياة كل فرد أن لا تؤذي حياة الفرد الآخر، بل ينبغي أن تفيده وتدفعه

للأمام، وبهذا يرتفع المستوى العام للحياة عند الجميع، أليس كذلك؟"

ترددت نادية قليلاً ثم قالت: "نعم... تقريباً".

"لا، ليس تقريباً أريد إجابة قاطعة. إذا كانت حياتي الخاصة تؤثر سلباً في حياة الآخرين، ألا ينافي ذلك قولك: إن الحياة ملك للجميع؟"

"نعم".

"ممتاز. والآن لو أن كل شخص في الحياة فعل ما يحلو له من ملذات، فمثلاً عاقر الخمور والمخدرات، أو أن تكون فتاة وقد خلعت الحجاب واختلطت مع من ينظر إلى قدميها قبل وجهها، وتقع في براثن الزنا أو تلتصق بوحل السحاق..."

"قاطعت نادية الحديث معترضة:

" أنا لم أفعل ذلك".

"ومن قال إني أتحدث عنك يا عزيزتي؟! أنا أفرض فرضاً فقط. أرجع إلى الموضوع فأقول: لو أن شخصاً فعل ذلك كله، هل يحق لنا أن نتركه بحجة أنه حر في حياته؟".

تلكأت قليلاً ثم قالت:

"ربما لا".

"تكفيني (ربما). طيب، لو أن شخصاً فعل أحد هذه الأشياء هل تنطبق عليه الإجابة السابقة نفسها؟"

"علمت أنها وقعت في الفخ فقالت:

"لماذا تجعلين حرية اللباس قرينة الزنا والسفاح ومعاقرة الخمور والمخدرات؟"

"لأني أعلم كما تعلمين أنت ما يفعل اللباس الفاضح لأنثى بمراهق لا سيما إن كان يتسكع معها في منتصف الليل".

نظرت نادية إليَّ شزراً، فقلت لها معتذرة:

" لا تغضبي مني، وأنا أعلم أنك تظنين أننا ننظر للحياة نظرة يملؤها الشك والريبة بعكس الناس هنا، حيث إنهم يعيشون على البساطة، وإن شئت فقولي: الحرية، أليس كذلك؟"

سكتتْ.

"السكوت علامة الرضا. اسمعي يا عزيزتي كل مشروع ونظرة وفكرة ومنهج في الدنيا له مقياس صادق لا يحتمل اللبس ولا الخطأ"

تساءلت:

"ما هو؟"

"النتائج. انظري يا عزيزتي إلى نتائج ما يسمى بالحرية هنا على المستوى الاجتماعي، لا أدري إن كانت كلمة ضياع تكفي أم لا.

فالمصابون بالأمراض الجنسية والنفسية تعج بهم المستشفيات، العائلات شبه المدمرة هي الأصل، والصحيحة فيهم شاذة. قارني بين هذه النتائج التي تصدرها مراكزهم مع نتائج مجتمعنا، ويا ليت قومي يعلمون.

قطعت أم محمد قصتها، ونظرت إليَّ وقالت مبتسمة وهي تغمز بعينها:

"ما رأيك بي، ألا أصلح أن أكون محاضرة في جامعتك؟"

قلت وأنا أبادلها الابتسامة:

"تصلحين بأن تكوني عميدة جامعة المناظرات في قسم الفلسفة. والآن هل اقتنعت نادية بما قلت؟"

ملأت أم محمد رئتيها بالهواء ثم أكملت قصتها:

لم تقتنع، بل قالت: "أنتم تدورون حول أمور عفى عليها الزمن، الناس هنا وصلوا القمر، لماذا لا تفتحون أعينكم على الحقيقة؟ لقد تقدم الغرب علينا، هم نجحوا ونحن فشلنا. ينبغي علينا أن نتخذ الناجح قدوة، هذا من إيجابيات الحياة إلا إذا كنت تنكرين ذلك؟!".

"أنا لا أنكر ذلك، بل في الحقيقة أستغرب أن يخرج هذا الكلام منك وقد كنت أظنك ذكية".

انتبهت وكأنها لدغت وقالت:

ماذا تقصدين؟!

"الأمر بسيط، أين نحن الآن؟؟"

"في أمريكا".

ممتاز. ما الذي أتى بنا إلى هنا؟"

لم تجب.

"يبدو أن الإجابة صعبة عليك. سأجيب عنك هذه المرة. نحن هنا لأننا نعلم أنهم قد تقدموا علينا في العلم، فأتينا لنتعلم ما تقدموا به علينا، وأظن الطريق إلى ذلك العلم هو الدراسة في الجامعات لا الحانات".

ردت نادية وهي تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه:

"الحياة في نظرتكم جافة. كل شيء حرام".

" إن أردت الحقيقة فكلامك قد جانب الصواب؛ لأن كل شيء حلال إلا ما حرم الله. فالأصل الحِل والاستثناء هو التحريم، وأنا أتحداك أن تأتي بشيء قد حرمه الله علينا وليس فيه مفسدة. بل شيء مصلحته أعظم من مفسدته وقد حرم.

قالت وكأنها وجدت لقمة سائغة:

أنا لا أتكلم عن الله، فهو أعلم بمصلحتنا، ولكن أتكلم عن نظراتكم أنتم للحياة والحرية.

"عزيزتي؛ إن كان الله أوحى لك بشيء عن حرية المرأة لا نعرفه فجودي به علينا، وإلا فإن النصوص محفوظة وموجودة في متناول الجميع. هذه واحدة، والأخرى أن الحرية إذا كانت باباً للفساد الأخلاقي فهي حرام ليس في الإسلام فقط بل في جميع الأديان السماوية".

قالت وقد بدا الغضب يتضح من خلال نبرة صوتها:

"ألم أقل لك: إن نظرتكم للحياة يملؤها الشك والريبة؟"

عزيزتي؛ عندما تذهب المرأة مع الرجل إلى حانة في منتصف الليل فإن ذلك لا يمكن أبداً أن يفسر بأنه محاولة بريئة لكسب صديق، وإن أردت نصيحتي فعليك بالذهاب فوراً للفحص فالناس هنا موبوءون".

كان الذعر بادياً في عينيها. لم تستطع أن تخفي اضطرابها وتململها. جلست قليلاً، ثم استأذنت، وعندما وصلت إلى الباب، قلت لها وأنا أضغط على يديها:

"عزيزتي نادية، لاحظي أني لم أذكر في كلامنا آية أو حديثاً، ليس استخفافاً بهما والعياذ بالله، ولكن لأني رأيت بأن نظرتك للحياة تعتمد على العقل. فأردت أن أثبت لك أن الإسلام يوافق

العقل السليم ولا يناقضه؛ وإن أردت دليلاً عقلياً على ما قلته لك فما عليك سوى الذهاب إلى أقرب مركز للشرطة، واحسبي خلال يوم واحد بلاغات الاغتصاب والسرقة والقتل وغيرها من الجرائم. كم أتمنى يا عزيزتي أن نأخذ من كل شيء أفضله، وننتقي لحياتنا أفضل وأطهر الأثواب، ولا نكون كالثيران تدور في الحلبة بحثاً عن خرقة حمراء ترفع لها.

كنت أنظر إلى أم محمد وهي ترفع يديها مصورة الخرقة الحمراء.

كم كنت أتمنى وجودي مع أم محمد وهي تمارس هوايتها في الإقناع.

نظرت إلى أم محمد بعد أن انتهت من سرد قصتها وقالت:

" هاه، ما رأيك؟"

" في الحقيقة بعد هذه المناقشة الشائقة التي أدرتها أرى أنه من المفروض أن أسألك عن رأيك"؟

عقدت أم محمد بين ساقيها، وقالت متأملة:

"إن أردت رأيي فأتوقع أنه سيكون هذا هو آخر العهد بها".

أخطأ طارق في توقعه، وأخطأت أنا أيضاً إلا أن أم محمد أصابت الحقيقة فلم نرَ نادية فيما بعد.

في ذلك الأسبوع دعوت طارقاً مكرهاً لتناول العشاء، وعندما أخبرته بزيارة نادية لنا وبما دار، قال وهو ينظر إلى صحن الجريش:

"شيء واحد لم أعرفه".

"ما هو؟"

"إذا كانت بالفعل لم تربَّ على مكارم الأخلاق، فلماذا أتت إليكم؟"

رددت عليه قائلاً بعد أن أبعدت عنه صحن الجريش قليلاً:

" أعود لرأي أم محمد، وهو أنها لم تتربَّ على مكارم الأخلاق، وأزيد بأنها لم تتلقَّ التنشئة الإسلامية الصحيحة؛ وذلك لأن الذي تولى تربيتها شخص يحتاج هو إلى تربية من جديد، هذا أولاً. ثانياً: لا أظن أن ما قلته عن فهمها للحياة هو من أفكار صديقها جون..

تمتم طارق:

"ذلك الثور؟"

"إذاً فهي أساساً عندما أتت كانت محملة بتربية تحمل فيها أفكاراً منحرفة، ولكنها عندما أتت إلى هنا شعرت بالخوف. والخوف عندما يستولى على القلب يغسل القلب من أدران الشهوات والشبهات. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس:٢٢).

هذا هو حالها، فلما ذهبتْ واطمأنتْ صار حالها كما قال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (يونس:٢٣).

قال طارق مستعجلاً:

"والآن هل من المكن أن ننسى نادية ونبدأ بموضوع آخر؟"

لم أفهم في البداية.

"موضوع؟ أي موضوع ؟"

"الجريش".

"الجريش.. الجريش".

رفعت رأسي فإذا ابني محمد قد وقف أمامي.

" أبي. أمي تقول: إذا لم تأتِ فإنها ستأكل الجريش وتدعك".

هذا هو جريش أم محمد الرائع لم يتغير منذ عشر سنوات. اتجهت إلى المغسلة لأغسل يدي وأغسل تلك الذكريات التي ما ظننت أنها موجودة بزخمها في رأسي بعد أن بدأ البياض يشق

طريقه على جنبيه. دخلت على أم محمد وأنا أحمل الجريدة ووضعتها أمامها. قالت وهي تعد الأطباق:

"لا تتعب نفسك ليس فيها شيء، لقد قرأتها".

قلت وأنا أشير بإصبعي على المقال:

"يبدو أن ذاكرتك بدأت تضعف".

نظرت قليلاً ثم اتسعت عيناها فجأة:

"إنها نادية. نعم نادية صاحبتنا، ماذا كان اسم صاحبها؟"

قلت بهدوء:

"جون".

التفتت إليّ وهي تغمز بعينيها:

"يبدو أن لك ذاكرة قوية عندما يتعلق الأمر بجون".

نظرت إلى محمد خجلاً وكأنه يعرف حكاية جون مع أبيه مع أنه لم يكن قد ولد ساعتها. قالت لي أم محمد وهي تضع طبق الجريش أمامي:

"لا عليك، لن أخبره".

في المساء زرت طارقاً والذي أصبح مديراً لمجموعة والده الاستثمارية. ألقيت إليه بالجريدة، وجلست أحتسي قدحاً من

الشاي. بعد أن فرغ من قراءة المقال نظر إلي ثم أسمعني المقطع الأخير من المقال:

" إذا أردنا أن نلحق بركب الأمم المتقدمة ونساير المجتمعات المتحضرة فينبغي علينا أن نطرح جانباً أطروحات عصر أكل عليها الدهر وشرب".

ألقى الجريدة جانباً ثم قال وهو ينظر إلى السقف متأملاً:

" إنني أتساءل: من أي أصدقائها تعلمت هذا الكلام؟!"

تمت بحمد الله،،

"مجموعة قصصية"

الحقيقة ...

استيقظت من النوم كعادتها قبل الجميع. ذهبت للمطبخ وأمرت الخادمة بتجهيز الفطور. بدأت بعدها جولتها التفتيشية المعتادة. دخلت جميع الغرف فوجدتها لم تتغير منذ أن عاينتها البارحة وهذا يدل على أن الأولاد قد أذعنوا لتهديداتها ولم يعبثوا بالأثاث. وقد جرت العادة أنهم يتظاهرون بالنوم؛ وما إن تطفأ أنوار غرفتها حتى تبدأ المعارك بينهم، لم تستطع أن تمنع نفسها وهي تقول مبتسمة: "كم أنا حازمة".

استمرت أم سلطان - كما يحلو لها أن تدعى - بجولتها التفتيشية ودخلت مجلس الرجال، فمن يدري فربما كانت ساحة الملعب هناك؟؟! كان المجلس - هو الآخر - قد بدا أنه سلم من أيدي من تدعي أنهم يُتعبِونَ الشياطين. بدا لها أن الأمن والطمأنينة ستملآن جو الإفطار، لكن لحظة ما هذا؟! توقفت قليلا عند الباب فوجدت ما أرعبها... بقعة سوداء على سجادة المجلس. إنها الكارثة بل هي المصيبة بعينها ستحل على الجميع. لن تستثني أحداً، الكل سيدمره الزلزال. فتطور الجريمة يستلزم تطور العقاب. وهذا العمل التخريبي المتطور لم يقم به واحد ولا اثنان بل الجميع... والجميع سيهلك. أمر آخر لا يقل خطورة عن الأول، وهو أن المجلس قد اتُخذ مركزاً ليمارسوا أنشطتهم التخريبية فيه منذ أمد بعيد. ولولا تلك البقعة التي أتت كنتيجة طبيعية لنظرية (لا توجد جريمة كاملة) لما أمكن الكشف عن هذا المخطط الرهيب.

أخذت التحليلات الأخرى تتوافد على رأس أم سلطان إلا أنها هزت رأسها لتوقف هذا السيل المتراكم من الأفكار، ولتعبر عن غضبها لهذا الاستغفال المريع لأعلى سلطة ميدانية في البيت. فكرت بسؤال الخادمة إلا أنها عدلت عن ذلك لعدة أسباب. أولها: أن هؤلاء الماكرين ضحكوا عليها هي وهي من هي!! فما بالك بخادمة أجنبية لا تفقه شيئاً. وأيضاً لأن تلك المسكينة لا تتجاوز المطبخ جسماً ولا فكراً وآخرها وهي أنها تنام بعد أن تنتهي من تنظيف سفرة العشاء. كانت في تلك اللحظة تجوس في البيت كهزبر لم يذق الطعام منذ ثلاث ليال وهو ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على فريسة يراها رأي العين.

استيقظ الأولاد بعد جهد جهيد من أمهم. وبعد أن أقسمت لهم أن الفطور قد جهز في الصالة، نظر سلطان إلى ساعته وقال وهو يغوص في وسادته: "متى يأتي اليوم الذي أنتهي فيه من المدرسة"؟

وبهدوء سحبت الأم الغطاء وذهبت به معها فما كان من سلطان إلى أن قام وهو يتمتم:

"سأولم وليمة بتلك المناسبة".

بقية الأولاد كانوا أهون وأيسر من سلطان بكر العائلة الذي يدرس في المرحلة الثانوية؛ فزجرة واحدة كفيلة بجعل النوم يجافي

أعينهم التي يكفيها دعكة أو دعكتين على الأكثر لتعودا لسابق نشاطهما.

بعد أن اجتمعت العائلة على مائدة الإفطار انتظرت أم سلطان الفرصة المناسبة لطرح القضية وتوجيه أصابع الاتهام. كانت تتحرق شوقاً لرؤية وجه سلطان بعد أن يسمع الخبر. نظرت بطرف عينها إلى غرفة النوم فرأت ساقي زوجها قد امتدتا على أطراف السرير. فهي لم توقظه بعد وذلك لحاجة في نفسها. كانت تريد أن تجعله ورقة ضغط بيدها. نظرت إليهم ثم ألقت القنبلة، إلا أنها لم تنفجر. نظرت إليهم فلم يعرها أحد منهم أي اهتمام، وبعد دقائق من الصمت قال سلطان وهو ينظر أخيه الذي بدأ بتقشير بيضة جديدة:

"ربما يكون هناك بئر من النفط تحت بيتنا".

ردت وفي عينيها شك وريبة:

"أنت تمزح أليس كذلك؟!"

"لا هذا ما قاله مدرس الجيولوجيا عن العصر الأردوفيشي".

لم يكمل سلطان الحديث لسببين، الأول: هو أن هذا هو كل ما يعرفه عن النفط والجيولوجيا ككل. والثاني: أن البيضة وصلت إلى الطبق فبدأت الأيدي تتخطفها دون هوادة.

اشتغل فكر أم سلطان بهذا التفسير العجيب. ولم لا قد يكون الحظ والغنى قد أناخ على بابهم هذه المرة. بئر من النفط وفي بيتهم !! يتوقف الخيال عن تصور ما سيجلبه هذا الأمر من سعادة وانتقال من حياة الأقساط والكفاف إلى حياة الترف والبذخ. ومن معاركة شؤون الحياة اليومية للوصول إلى نهاية الشهر دون عجز إلى التفكير بالملايين التي تغص بها الأرصدة في مختلف البنوك. ولم لا؟! هل الحظ والغنى يعرف الواسطة أو يفرق بين الناس. ولم لا تكون هبة من الكريم الوهاب لما علم صلاح هذه العائلة وخصوصاً ربة المنزل...!!

اتجهت أم سلطان وهي محملة بتلك الأفكار إلى أبي سلطان الذي كان متمدداً على عرض السرير وقد كدس الوسائد فوق رأسه. أيقظته وهي غارقة في بحر متلاطم من الأمنيات، لم تكن تعرف ما هي الطريقة المناسبة التي تفتح بها الموضوع لتخبره بهذا الاكتشاف الخطير. لم تستمع إليه وهو يسألها إن كان الأولاد قد ذهبوا أم لا. كانت ما تزال تعالج الخطط المناسبة التي ينبغي أن تتبعها لجعل أبي سلطان يأخذ الأمر على محمل الجد. فهو منذ أن عرفته قبل خمس عشرة سنة لم يكن يولي الأمور ما تستحق من جدية؛ فالأولاد ومشاكلهم أمور تافهة تحدث في كل بيت. والمصاريف المتزايدة التي تنوء بها الميزانية المخصصة أمر يحتاج بعض "الضبط". ومشاكل الحارة هي في نظره توافه تطفو على

السطح بسبب الفراغ الموجود بين النساء. فما باله اليوم بخبر بئر من النفط يجري تحت مجلس الرجال، سيضحك حتى تبدو أضراسه؛ بل سيجعله دليلاً مدة خمسة عشر عاماً أخرى على قلة عقلها وضعف فكرها، وقد يتعدى الأمر ليجعل هذا الحديث متندر جلسته المعتادة بين أصدقائه في الاستراحة كل ليلة!!

سحبت الغطاء واتجهت بالغطاء إلى الصالة وقد بدأت جولة جديدة من الوساوس تغزو رأسها؛ ماذا لو كان الأمر مجرد خدعة من سلطان وإخوته، ماذا لو كان الأمر برمته لعبة جديدة من ألعابهم الشيطانية، ماذا لو عرف أبا سلطان بالأمر واكتشف خديعتهم وأصبحت هي الأغبى في المعادلة:

"كم الساعة"؟

نظرت إليه وهو يحك رأسه عند باب الغرفة وقالت:

"السابعة والنصف".

اتجه أبو سلطان على المغسلة واتجهت هي بأفكارها نحو الخدعة المحتملة. وما إن وصل أبو سلطان واحتضن الإفطار إلا وقد حزمت أمرها بأن أبا سلطان لن يعلم بالأمر حتى تتأكد منه في الغد:

"ما الأمر؟ تبدين غير طبيعية هذا اليوم؟!"

نظرت وحاولت أن تبدو طبيعية ثم قالت:

"كيف؟"

لم يستطع الإجابة لأن فاه كان مشغولاً بمضغ قطعة من الجبن، فأخذ يشير بيديه حتى تسنت الإجابة ثم قال:

"لم أسمع تهديدك ووعيدك لسلطان مثل كل يوم. بل لم أشعر بالمعركة الحامية التي تدور في البيت كل صباح قبل ذهاب الأولاد للمدرسة، هل ماتت إحدى عجائز الحارة"؟

عجائز الحارة هو وصف لصديقات أم سلطان، حيث إنهن في نظر أبي سلطان عجائز وإن كنّ في جلهن في منتصف العقد الثالث من العمر. ردت عليه بعد نظرة عميقة:

"أولاً: هل تسمع شيئاً في العادة. أشك في أنك تمتلك حاسة السمع.

ثانياً: لقد بح صوتي وتغير من إيقاظ أولادك كل صباح وأنت ملتصق بالوسادة".

لم يجبها أبو سلطان بل هز رأسه وأخذ يلتهم طعام الإفطار بشراهة وهو ينظر إلى ساعته. أخذ يتمتم كما هي عادته عندما يقترب موعد الدوام حيث إنه صدم بمديره الجديد الذي أخذ يهتم بالثانويات على حسب اعتقاده - ويترك أساس العمل. فتجده - أي المدير الجديد- يشرف بنفسه على إقفال الدوام ويحاسب على الدقيقة. وأيضاً - وهو الأدهى والأمرّ - يقوم بجولات تفتيشية

مفاجئة أثمرت عن منع الفوال أبو يحيي من تموين المكاتب بالفول والعدس في تمام الساعة التاسعة صباحاً.

نظر أبو سلطان إلى ساعته مرة أخرى ثم زفر وهو يقول:

"يجب أن أسرع قبل أن يغلق الدفتر وأتلقى محاضرة صباحية من الفيلسوف".

لم تجب أم سلطان لأن هذه الجملة التي أخذت تتكرر على مسامعها منذ أتى مدير أبي سلطان الجديد جعلتها تنفذ ما في جعبتها من ردود.

انطلق أبو سلطان إلى عمله وانطلقت هي في أفكارها. كانت تنظر إلى الخادمة وهي تنظف المائدة من بقايا الفطور. وبعد أن انتهت من عملها استدعتها أم سلطان وأمرتها بحمل جميع أنواع المنظفات التي يعج بها البيت وأن تتجه بها إلى المجلس، وهناك أصدرت توجيهاتها بالتنظيف الدقيق للبقعة، وبعد أن انتهت الخادمة من عملها قامت أم سلطان بإغلاق الباب بالمفتاح وأخفته في مكان لا يعلمه أحد.

اتجهت أم سلطان بعد ذلك إلى برنامجها المعتاد حيث استقبلت في صبيحة ذلك اليوم أم خالد التي أخبرتها عن تفاصيل مشروع زواج ابنها خالد من ابنة عمها والعقبات التي نثرتها زوجة العم في طريق الزواج. ولم يمض وقت طويل حتى حلت أم نجم

عليهم ضيفة وقد جلبت معها هموم ابنها الذي لم يجد وظيفة على الرغم من حصوله على الثانوية العامة. وبين عقبات زواج خالد ووظيفة نجم انشغلت أم سلطان عن التفكير بالبقعة وما إن خرجت الضيفتان من البيت حتى ارتفع أذان الظهر ودخل سالم أو سلوم كما يحلو لأمه تسميته وهو يحمل دفتره بيده ليريها كيف أن الأستاذ قد وضع له نجمتين متميزاً عن جميع الطلاب. وأما سلوى وهي في الصف السادس الابتدائي فقد وصلت بعد وصول سلوم بقليل، وكانت فرحتها لا توصف.

أولاً: لأن المعلمة وضعت لها ملصقاً جميلاً على كراستها عليه عبارة ممتازة.

وثانياً: وهو الأهم في نظرها قول المعلمة لها إن طبيعة شعر سلوى مثل طبيعة شعر معلمتها، مما جعل سلوى تطلب من أمها والدموع تملأ جفنيها بأن تقص شعرها ليكون مثل شعر المعلمة.

كانت الإجابة نظرة حادة من أم سلطان جعلتها تنسى الموضوع برمته. ورويداً بدأت تصل الوفود حيث أتى محمد ثم تبعه سلطان ثم أبو سلطان حتى اجتمع الجميع في الصالة وهم ينتظرون الغداء. وقبل وصول صحن الغداء وقفت أم سلطان وأعلنت إعلانها الأول هذا اليوم:

"لقد أقفلت باب المجلس ولن يدخله أحد حتى الغد".

حاول سلطان أن يرفع رأسه لينظر إليها إلا أنه لم يستطع لأنها وقفت أمامه مباشرة فاضطجع على جنبه وقال:

"هل من الممكن معرفة سبب الحصار على المجلس"؟

لم تنظر إليه وإنما إلى أبي سلطان الذي كان منشغلاً بقراءة عبارات الشكر التي سطرها الأستاذ لسلوم وقالت:

" لا ".

اعتدل سلطان وتمتم وهو ينظر إلى محمد الذي يتأخر عنه بسنة دراسية واحدة:

"كالعادة تكتيم إعلامي..".

بعد أن انتهى الجميع من الغداء اتجه الأولاد إلى غرفهم حيث كانت هناك غرفتان مخصصتان لهم في أحدهما يقطن سلطان ومحمد وفي الأخرى سلوى وسلوم. اضطجع محمد على سريره وقال وهو يحرك قدميه إلى الأعلى:

"أراهن على أن هناك شيئاً في المجلس".

قال سلطان وهو يلبس ثوبه:

"وهل تتوقع يا غبي أن إغلاق المجلس ليوم واحد مجرد نزوة. أكيد أن هناك شيئاً ولكن هل هو سار أم لا".

اقترب منه محمد بعد أن شده كلام سلطان وقال:

"ماذا تتوقع؟!"

اضطجع سلطان على السرير:

"قل لي أنت أولاً، لأرى مدى ذكائك".

قال محمد وهو يحك رأسه:

"لا أدري، لكن ماذا عن البقعة التي تحدثت عنها أمي في الصباح"؟

زفر سلطان:

"أحمق هذه مجرد خدعة".

"خدعة. كيف؟ أقصد ماذا تتوقع أنت؟"

"ربما تكون هناك جريمة قد حصلت في المجلس".

فغر محمد فاه وقال:

"جريمة. أعوذ بالله".

"نعم جريمة، وهل الجرائم فقط في الأخبار. ربما يكون أحدهم قد قتل في مجلسنا، وأكيد أن المساء هو أنسب وقت".

أكمل محمد بهدوء من وصل إلى النتيجة "لإخفاء الجثة"

"ها قد بدأت تفهم يا غبي"

@ @ @

"أنا على استعداد لأن أتنازل عن النجمتين مقابل أن أعرف ما الذي يوجد في المجلس".

أبعدت سلوى نظرها عن المرآة والتفتت إلى سلوم الذي احتضن دفتره وتقوقع في وسط سريره:

"ألم تعرف إلى الآن ماذا يوجد فيه؟"

أشرق وجه سلوم بابتسامة وقال:

"هل تعرفين أنت"؟

"أتوقع أنها هدايا لنا".

لم يصدق سلوم ما سمعته أذناه:

"هل أنت متأكدة"؟

"الآن لست متأكدة ولكني سأكون كذلك بعد قليل".

أخرجت سلوى مفتاحاً من جيبها. نظر إليه سلوم وعرف أنه مفتاح المجلس.

"كيف حصلت عليه؟!"

قالت بثقة:

"نسيت أمي أن عندي من كل مفتاح نسخة احتياطية".

عندها تذكر محمد قول أمه أنها أعطت سلوى المفاتيح الاحتياطية لغرف البيت كونها الوحيد في المنزل التي تثق بها.

قفز إليها وقال وهو متعلق بها:

"دعيني أذهب معك".

نظرت إليه بنصف ابتسامة وقالت بعد هدوء استفزه:

"بشرط".

أجاب سلوم بسرعة دون تفكير:

"موافق".

"أن تقنع أمي بأن أقص شعري".

مرة أخرى أجاب دون تفكير:

"اتفقنا".

عندما اجتمعت العائلة على سفرة العشاء كان الهدوء ظاهراً يسود الجو إلا أن نَفَسَ كل واحد منهم - باستثناء الأب - كان يحترق ليكتشف ماذا حصل في المجلس. خلال ذلك العشاء كانت هناك معركة دامية بين الأعين؛ فكانت أم سلطان تسارقهم النظر، وما إن تقع عيناها على أحد المشبوهين حتى يكون هو الهارب. أدت زيادة الشحن النفسي في ذلك العشاء إلى لزوم الجميع الصمت، وما إن انفضوا حتى اتجه أبو سلطان إلى المغسلة الخارجية القابعة بجانب مجلس الرجال ليتجه مباشرة من هناك إلى الاستراحة.

وأما البقية فقد انسلوا إلى غرفهم وهم لا يدرون ما هو العشاء الذي تناولوه منذ قليل. بعد عدة دقائق أعلنت أم سلطان من الصالة أنها ذاهبة لأم نجم ولا تريد إزعاجاً في البيت. كان الجميع في تلك اللحظة قد التصقوا بأبواب غرفهم، كل منهم ينتظر ذلك الإعلان.

بعد أن خرجت نظر محمد إلى سلطان وقال:

"هل نذهب"؟

تمتم سلطان وهو ما يزال ملتصقاً بالباب:

"المشكلة أنك معي في هذه الغرفة وما تزال أحمق".

"لماذا"؟

"هل تتوقع أن نخرج مباشرة وأمي لا تزال في الفناء الخارجي"؟!

@ @ @

"هيا بنا نذهب. هيا".

نظرت إليه سلوى وقالت بخبث:

ليس قبل أن أضمن أنك ستجعل أمي توافق على قصي شعري؟

"سأجعلها أقسم لكِ".

"القسم لا يكفي".

"إذاً ما ذا تريدين؟!"

"اذهب وأحضر لي سوار الخادمة".

علت الدهشة سلوم وهو يقول:

" أسرق "؟!

ردت وهي تتصنع البراءة:

"ليست سرقة ولكن حتى أضمن أنك ستقنع أمي بقص شعري".

"وإن لم أفعل".

"أخبر أمي بما حصل للسوار".

نظر إليها سلوم وقال بعد تفكير قصير:

"اتفقنا".

دفعته إلى الخارج وهي تقول:

"إذاً اذهب الآن وأحضره قبل أن تعود الخادمة من المطبخ".

@@@

"هيا بنا نذهب. هيا".

التفت إليه سلطان وهو ما يزال ملتصقاً بالباب:

"اصبر قليلاً".

"لا أستطيع أن أصبر أكثر من ذلك. هيا".

تمتم سلطان وهو يفتح الباب:

"أحمق".

أخرج رأسه بهدوء ثم خرج من الغرفة، وما إن التفت إلى اليمين حتى عاد مسرعاً إلى داخل الغرفة وصاح بمحمد وهو يقفز في الهواء:

"إلى السرير".

قفز الاثنان إلى سرائرهما وتظاهرا بالنوم، وبعد عدة لحظات فتح سلطان عينيه فوجد محمداً ينظر إليه بعد أن بادره بالسؤال:

"ماذا حصل"؟

رد سلطان وهو يتنفس بسرعة من تلك القفزة:

"سلوم"

"ماذا به؟! "

"خرج مسرعاً من غرفته".

"وماذا في ذلك؟"

رد سلطان متأملاً:

"أشم رائحة مؤامرة"

"مؤامرة..!! "

عدل سلطان جلسته وهو يقول:

رتب الأحداث التي حصلت في البيت هذا اليوم، أبي يخرج مباشرة بعد العشاء دون أي كلمه إلى الاستراحة.

قال محمد ببراءة:

"هكذا يفعل دائماً".

"دعني أكمل يا غبي".

على العشاء كان الهدوء غريباً. والمجلس يغلق دون أي سبب منطقي. وأمي تذهب مباشرة لتزور أم نجم. وأخيراً سلوم يخرج من غرفته مسرعاً.

قال محمد وهو لم يزل غير مستوعب لما يقوله سلطان:

"يعني؟!"

"يعني أن هناك في البيت جريمة والجميع يحاول أن يخفي معالمها".

انبهر محمد من هذا الاستنتاج الغريب، إلا أنه قال بعد تفكير قصير:

"ولكن أبي دائماً يذهب للاستراحة بعد العشاء، وأمي دائماً تزور أم نجم في كل وقت، ولم أر سلوم في حياتي يمشي".

نظر إليه سلطان بهدوء وقال وهو يبتسم ابتسامة الواثق:

"والمجلس"؟!

سكت محمد:

"ألم أقل لك إنك أحمق. دعني أرتب لك الأحداث. هناك جثة موجودة في المجلس، وأبي خرج ليحفر لها قبراً في الفناء الخارجي. ولحقته أمي لتحمل له الكشاف؛ لأنه لا يستطيع أن يحفر ويضيء في الوقت نفسه. ولما علمت سلوى بالخبر لم تستطع أن تتحمل لأنها من فصيلة النساء فسقطت مغشياً عليها، فذهب سلوم مسرعاً ليحضر لها كوباً من الماء".

اتجه محمد إلى الباب مسرعاً وهو يقول:

"سلوى.. سلوى".

فلحق به سلطان وأمسكه وأعاده إلى الغرفة:

"يا أحمق المسألة أكبر من سلوى. لا تخف سيتدبر أمرها سلوم".

في الغرفة الأخرى دخل سلوم مسرعاً ثم خرج مسرعاً ليجد سلوى تنتظره:

"هل أحضرته"؟

أخرج سلوم السوار من جيبه وقال:

"ها هو"، ثم أردف:

"سمعت محمداً يناديك".

"لا عليك منه كالعادة يريد كوباً من الماء".

أخفت سلوى السوار في غرفتها بعد أن أمرت سلوم أن يغمض عينيه. وبعد ذلك نظرت إليه وقالت:

"هل أنت مستعد"؟

@@@

"هل أنت مستعد"؟

رد محمد بحماس:

"بالتأكيد هيا بنا".

نظر إليه سلطان وهو يتمتم:

"أحمق".

أخرج سلطان رأسه من الباب وهناك رأى سلوى وسلوم ينسلان بهدوء إلى المجلس. التفت سلطان إلى محمد المنبهر خلفه بعد أن اختفى سلوم وسلوى عن ناظريهما وغمز بعينه:

"خلفي".

وعند باب المجلس رأيا سلوى وهي تخرج من جيبها مفتاحاً وتضعه في الباب. وعندما دار المفتاح في القفل شهق سلطان:

"كم أنا أحمق".

رد محمد وهو يحاول أن يرى من كتف سلطان

"لماذا؟!"

وقال بكل ثقة:

"سلوى هي القاتلة":

دخلت سلوى وسلوم المجلس، وما إن توسطا المجلس حتى صاح سلوم:

"أين الهدايا التي زعمت؟!"

جالت سلوى ببصرها وقد علمت أن فرصتها في قص شعرها قد باتت شبه معدومة.

"ولا حركة":

التفت سلوم وسلوى إلى الداخل فإذا هو سلطان ومحمد من خلفه. جالا ببصرهما فلم يريا شيئاً. نظر بعدها سلطان بعين حازمة إلى سلوى ثم قال بهدوء الواثق:

"أين هي"؟

ركض سلوم باتجاه سلطان وقال وهو يكاد يبكي من الغيظ:

"لقد وعدتني أنني سأجدها هنا".

ملأ سلطان رئيتيه من الهواء وقال وهو يتجه إلى أقصى الغرفة:

"هذا لأنك لا تعرف يا سلوم القاعدة المشهورة".

ثم التفت بسرعة واتجه بنظره إلى سلوى وقال:

"ليست هناك جريمة كاملة".

تمتم محمد بسخط بعد أن مل استنتاجات سلطان:

"أي جريمة وأي تفاهات تتحدث عنها"؟

التفت بعدها إلى سلوم وقال:

"وعدتك بماذا؟؟"

"هديتي التي اشترتها أمي".

تمتم سلطان مستغرباً:

"هدية.. أمي.. اشترتها".

"هديتكم عندي".

التفت الجميع إلى صاحب الصوت الغاضب فإذا هي الأم. ركض سلوم باتجاهها وهو يبكي:

"أمي لقد أجبرتني سلوى على سرقة سوار الخادمة".

ردد سلطان:

"خادمة.. سوار".

تجاهلت أم سلطان خبر سلوم واتجهت إلى موضع البقعة وبالفعل وجدتها قد عادت للظهور من جديد. التفتت إليهم وقالت وهي تكاد تميز من الغيظ:

"من الذي سكب الزيت هنا؟"

ردد سلطان مرة أخرى:

"زيت.. هنا"؟!

"أريد أن أسمع جواباً".

ران الصمت للحظة ظن الجميع فيها أنه لا يوجد غيرهم على ظهر البسيطة. كانت الأعين خلالها تتسارق النظر فيما بينها، ولما لم يحر أحد منهم جواباً قالت أم سلطان.

"سلوم ما الذي جاء بك إلى هنا"؟

تلعثم سلوم قليلاً ثم قال وهو ينظر إلى الأرض:

"أخبرتني سلوى أنك اشتريت لنا هدايا".

"سلوى من أتيت بهذا الخبر"؟

دارت سلوى بعينيها الواسعتين على الجميع ثم قالت بجرأة غريبة:

"لم يخبرني أحد ولكن أردت أن أجعل سلوماً يقنعك بأن تسمحي لي بقص شعري فاخترعت هذه الحكاية".

"ومن أين لك مفتاح المجلس"؟

تبرع سلوم بالرد وقال بسرعة بعد أن أطبقت سلوى عينيها في الأرض:

"عند سلوى مفاتيح لجميع الأبواب في البيت".

تذكرت أم سلطان مسألة المفاتيح فحدجت سلوى بنظرة حارقة ثم التفتت بعدها إلى سلطان الذي مازال مبهوراً من إخفاق استنتاجاته:

"وأنت"؟

نظر إليها سلطان وقال:

"أنا"؟

"نعم أنت"؟

"كنت أبحث عن الجثة"

عندما عاد أبو سلطان وجد الجميع في الصالة مجتمعين على غير عادة. فتوقع أن أمراً طارئاً قد حدث جعل أم سلطان تتنازل عن أحد لاءاتها الشهيرة لا سهر بعد العاشرة ولا تلفاز في الاختبارات ولا زيادة في المصروف المدرسي. نظر إليهم قليلاً فهوَّن عليه ابتسامة أم سلطان الأمر إضافة إلى قولها:

"تفضل".

جلس أبو سلطان بعد أن أفسحوا له مجالاً وقال والريبة ما تزال تصبغ وجهه المستدير:

"أرجو أن يكون الأمر خيراً".

قفزت في حجره سلوى وقالت وهي تداعب وجنته:

"أبي أنا لا أعرف ما لذي يتكلمون فيه إلا أنني عرفت شيئاً واحداً وهو أننا سنصبح أغنياء".

نظر أبو سلطان إلى أم سلطان مستفهماً. فقالت:

"أنا سأخبرك".

كان أول ما نطق به بعد أن سمع القصة هو اتهامه لسلطان بأنها إحدى ألاعيبه التي يقرؤها في الروايات المكدسة في غرفته.

همَّ سلطان بالقَسَمِ أنه لم يفعل إلا أن أمه قطعت عليه الطريق وقالت:

"أنا تأكدت من الموضوع الزيت، يظهر على الرغم من تنظيفنا للمكان. وإذا أردت التأكد خذ مفتاح المجلس ونظف المكان وسترى النتيجة في الصباح الباكر".

أطرق الأب قليلاً مما دل على أنه أخذ الأمر على محمل الجد ثم قال وهو ينهض:

"سنرى".

وقبل أن يتجه إلى المجلس بدأ يسمع طرقاً، نظر الجميع بعضهم إلى بعض مهلوعين، تمتم سلطان:

"يبدو أن هناك عصابة علمت بالأمر".

رد عليه محمد:

"وهل العصابة تريد الخروج علينا من تحت".

حدجه سلطان بنظرة المتحدي ثم قال:

"سنرى".

ألصق سلطان أذنه على الأرض ثم رفع رأسه وأشار إلى أبيه:

"أبي تعال إلى هنا".

ألصق الأب رأسه بالأرض وتبعه محمد ولم تمض مدة قصيرة حتى كان الجميع ملتصقين على الأرض.

"هل تسمعون"

نظر الأب إلى سلطان

"اهتزاز!! ماذا يعني ذلك؟"

"يعني أن الذي يحفر قريب منا. ولكن السؤال أي اتجاه آاه لو كان عندنا مقياس للزلازل"

أخذ محمد ينظر إلى سلطان محتقراً...

"أنا أعرف من الذي يحفر".

نظر الجميع إلى أم سلطان وهي تتجه إلى الهاتف. بعدها طلبت من المتحدث أن يصلها بأم نجم، ولم تمض لحظات قليلة حتى أغلقت الهاتف بعنف.

اقترب منها أبو سلطان وقال بصوت خافت لم يمنع البقية الملتصقة به من السماع:

"ماذا"

أمسكت برأسها وهي تقول:

"كم أنا حمقاء".

التفت سلطان إلى محمد وتمتم:

"أمي تعترف بأنها حمقاء، يبدو أن المصيبة أعظم مما نتصور".

سألها الأب بلهفة:

"ما الذي حصل؟"

"بعد الصلاة العشاء ذهبت إلى أم نجم فنسيت ولم آخذ حذري حتى زلق لساني فأخبرتها بخبر البقعة".

قاطعها محمد:

" أمي، الذي أعرفه أن الشخص يزلق لسانه بكلمه أو كلمتين لا أن يزلق بخبر كامل".

دفعه الأب وهو يقول:

"أكملي.. أكملي".

"يبدو أنها أخبرت ابنها نجماً الذي بدأ يحفر في الفناء".

بدأ الصوت يرتفع والضجيج يعلو. ومع ارتفاع الصوت بدأت النظرات تدور بين الجميع تلفُّها حالة من الترقب حتى استقرت جميع الأعين على الأب الذي قطع حالة التأمل.

"الجميع إلى الغرف".

اتجه الجميع إلى الغرف إلا أن أحداً منهم لم ينم. قضى سلوم وسلوى جل ليلهما في كتابة الحاجات التي ينبغي عليهم شراؤها بعد أن يصبحوا أغنياء، وأما سلطان فكان يقنع محمداً بأن خطأه

في النتائج كان بسبب خطأ بسيط في التحليلات، وأيضاً من يدري ربما يكون ما تنبأ به جزءاً من حقيقة لم تكتشف بعد.

وفي غرفة الوالدين عقد اجتماع على مستوى عال من الأهمية والجدية لم يعقد مثله منذ ستة أشهر عندما قررا إجراء عملية جراحية لسلوم لاستئصال الزائدة الدودية.

كان الأب يجول ويجول في غرفته مطرقاً مفكراً لا يقطع الصمت الذي يلف الغرفة إلا طرقات نجم في الفناء المجاور. واقتراحات مبتورة من أم سلطان، وبينما هم كذلك إذ انقطع الصوت فجأة فتوقف الأب عن التفكير وسلطان عن التبرير وسلوم عن التحرير.

"هل تتوقعين أنه وجد شيئاً؟"

نظرت إليه أم سلطان وهي تحاول أن تخفي قلقها بضحكة مصطنعة:

"مستحيل"

أرادت أن تكمل إلا أنها لم تستطع لأنها لا تدري ماذا تقول. نظر أبو سلطان إلى إليها وقال:

"أخرجي دفتر الحسابات".

"لماذا؟"

"لا عليك أخرجي الدفتر".

وبعد أن أخرجته

"أحضري الجريدة والحاسبة".

نظرت إليه مستغربة:

"افعلي ما أقوله لك".

وبعد أن نفذت طلباته غير المتناسقة اشتغل بعمليات حسابية لم يقطعه عنها إلا أذان الفجر. قام بعدها وتوضأ نادى أبناءه للصلاة ولشدة مفاجئته أن الجميع قد خرجوا من غرفهم من أول نداء. نظر إليهم وقال:

"أول مرة أراكم تستيقظون بهذه السرعة".

ردت الأم من غرفتها:

"لا تنس أنها أول مرة بالنسبة لك أيضاً".

تجاهل أبو سلطان التعليق وقال:

"هيا إلى المسجد".

كان المسجد مكتظاً بالمصلين على غير عادة مما جعل الإمام يسأل المؤذن بعد الصلاة:

"هل حصل شيء في الحارة"؟

نظر المؤذن إلى المصلين وقال بصوته الرصين المعهود وهو يستاك:

"الله الهادي".

عندما خرج من المسجد كان ثلة من سكان الحي ينتظرونه، نظر إليهم فإذا العامل المشترك بينهم وبينه أن لا أحد منهم عُرف عنه المواظبة على صلاة الفجر. حاول أن يتجاوزهم إلا أنه لم يستطع إذ لمح بينهم أبو نجم. تقدم إليهم وسلم، فكانت ردودهم حارة. ران عليهم طوق من الصمت كسره أبو عبد الله الذي عرف بجرأته:

"ما صحة الأخبار التي سمعناها"؟

"أي أخبار"؟

دخل أبو خالد على خط الحديث وقال ضاحكاً:

"أنت تعرف ما لذي يقصده أبو عبد الله فالناس كلها تتحدث عن بئر نفط في بيتك".

قال أبو نجم بحقد واضح:

"في المجلس تحديداً".

عرف أبو سلطان من الغيظ الذي ظهر في لهجة أبي سلطان أنه لم يجد شيئاً لا هو ولا ابنه، فقال منهياً المحادثة التي لم تعد له حاجة في إكمالها:

"سمعت كما سمعتم. السلام عليكم".

لم يعطهم أي فرصة في الحديث إذا توجه مباشرة إلى منزله بينما وقف البقية يراقبونه. لم يتمالك أبو نجم نفسه وقد بان الغضب على نبرات صوته:

"أقسم بالله إنه يعلم ما نقصد ويريد أن يستأثر بالبئر وحده.

قال أبو عبدالله محاولاً تهدئة أبو نجم:

"إن كان البئر حقيقة وفي بيته وحده فهو أحق به من غيره"

"ونحن نخرج هكذا دون أي فائدة"؟!

استغل أبو خالد الفرصة وقال:

"لا تخف قد تجعل الشركات بيتك مستودعاً لنفط أبي سلطان":

وانطلق في قهقه عالية لم يقطعها حتى دخل في بيته.

دخل أبو سلطان منزله على عجل واتجه إلى المجلس وفتح الباب، وهناك رأى البقعة قد عادت للظهور، اقترب منها ولمسها بيده فإذا هي زيت. بدأ يتحسس الزيت وكأنه قطع ذهبية وجدها في أرض فلاة على فترة من المال. بدأت تترسخ عنده قناعة أن ما وجده هو هبة من الله له وليس لأحد أن يشاركه فيه، وإلا كيف يمكن تفسير ظهور النفط في بيته فقط. بدأ شريط حياته يمر أمامه ابتداء من أيام الطفولة التي لا يذكر منها إلا عمله في سوق

الخضار وانتهاء بوظيفته الحالية التي لم يستلم راتبه منها سالماً من الأقساط. علم أن زمن الوظيفة قد ولى وحل محله الأعمال الحرة التي سيجعلها مجرد تسلية وسد لوقت الفراغ، وإلا فمنجم الذهب الأسود الذي يرزح تحت بيته يضمن له ولأحفاده حياة إمبراطورية.

رفع أبو سلطان رأسه بعدما رست به سفينة الأحلام على شاطئ الواقع ليجد العائلة الكريمة تنظر إليه. قال بهدوء:

"اجتمعوا في الصالة".

قالت أم سلطان بعد أن خرج الأولاد:

"وأنت"

"سأكتب استقالتي".

اجتمعت العائلة الكريمة في الصالة وأتاهم الأب يحمل بيده ملفاً مليئاً بالأوراق. وبعد أن أمرهم بالجلوس جلس متوسطاً الجميع وقال وهو ممسك بالملف:

"البارحة لم أنم".

تمتم محمد:

"الحارة كلها لم تنم".

"جمعت جميع الديون التي علينا وأضفت إليها ما كنا نحتاجه ولم نستطع توفيره بسبب العجز في الميزانية.

وبعد أن انتهيت من الحسابات حسبت سعر البرنت فظهر لي أننا نستطيع أن ننتقل من الطبقة الكادحة إلى الطبقة الغنية بعد أسبوع من تصدير النفط بمعدل مئتين وخمسين ألف برميل يومياً".

فغر الجميع أفواههم فهذا الرقم لم تتعود أسماعهم عليه.

قال سلوم:

"من أين سنأتي بالبراميل"؟!

بدأت ابتسامة سلطان الشهيرة تظهر على وجهه، وهذا يعني أنه سيستنتج أمراً، وبالفعل فإنه أشار إلى سلوم وأراد أن يتكلم إلا أن أم سلطان قاطعته بسرعة موجهة حديثها لأبي سلطان:

"لماذا لا نقترح على أبي نجم أن يفتح مصنعاً للبراميل حتى نسلم من عيونهم".

رد أبو سلطان بحزم:

"أبو نجم لا وألف لا. لكن لا يمنع من أن نقترح على أبي خالد أن يفعل ذلك".

نظر سلوم إلى سلطان مزهواً.

" وأمـر آخـر أحـبـبت أن أطلعكم عليـه وهو أنـي سـأقـدم استقالتي".

بدأت نظرات القلق تبدو على وجه أم سلطان فقالت:

" ولكن لماذا الاستقالة، أقصد ما لذي يمنع من الجمع بين الوظيفة وبيع النفط".

" الذي يمنع هو أنني أريد أن أبصق في وجه المدير".

كان الهاتف يرن طوال الاجتماع العائلي ولم يكن أحد يلقي له بالاً إلى أن أمـر أبو سلطان سلوى بالرد. ولما ردت سلوى على الهـاتف أعلنت أن أم نجم على الهـاتف. اتجـهت أم سلطان إلى الهـاتف وهي تعلم أنهـا مـقـبلة على مـشكلة، لا تقل عن مـشكلة استقالة أبي سلطان.

بعد أن انتهى الأب من عرض الميزانية والطفرة المتوقعة التي ستقفز بهم إلى عالم الأثرياء أعلن أنه سيستمع إلى اقتراحات الجميع وسيلبي اقتراحات الجميع.

كانت تلك الفرصة سائغة لسلوى لتطلب طلبها، فأعلنت أنها تريد قص شعرها ليصبح مثل شعر المعلمة.

قال محمد: "تقصدين مثل شعر الأولاد"؟!

قالت وهي تتميز من الغيظ:

"أنت لا دخل لك".

ثم التفتت إلى أبيها وقالت بعين شبه باكية:

"ألم تعدنا أنك ستلبي طلبات الجميع. ألست من الجميع أم أنا أختلف عنكم".

اعتدل الأب في جلسته وقال بعد أن أخذه الحماس:

"أنت لست من الجميع أنت رأس الجميع. سلوم أحضر المقص".

قفزت سلوى وأخذت تقبل أباها. فقال لها:

"اعتبري الأمر في حكم المنتهي. بعد أن تعودي من المدرسة قصي ما تريدين".

"أنت أفضل أب في العالم".

استولى الغضب على محمد وقال بحدة:

"ولكن ما دخل الثراء بقص الشعر"؟!

توقف الأب عن مداعبة سلوى وقال:

"لم أفهم".

رد سلطان مستنتجاً:

"صدمة الثراء أثرت عليه وجعلته يقفز إلى أقصى يمين التطرف".

قال محمد متجاهلاً سلطان:

"دعني أوضح لك الأمـــر يا أبي؛ هل الذي جـــعل أمي ترفض قص شعر سلوى فيما مضى هو قلة المادة"؟

"بالطبع لا".

"إذاً ما لذي يجعلك توافق الآن على قص شعرها"؟!

التفت الأب إلى سلطان وقال:

"ماذا قلت عن سبب التطرف؟"

رد سلطان بسرعة:

"صدمة الثراء المباشر".

"هل لها علاج"؟

فكر سلطان قيلاً ثم قال:

"حالياً لا".

قال الأب وهو يهز رأسه بأسى لمحمد:

"مشكلة".

عندما يأس محمد من أبيه التفت إلى أمه محاولاً استثارتها

"أمي أين عقلك وفكرك"؟

قالت وهي لا تنظر إليه:

"عقلي يفكر في حل مشكلة أم نجم التي بدأت تؤلب علينا الحارة".

تقدمت الخادمة بخطوات وئيدة إلى أم سلطان لتخبرها بأمر، إلا أن أم سلطان لم تستطع الفهم.

قال الأب:

"ما الذي تريده هذه الآن"؟

ردت أم سلطان:

"هناك شيء لا يعمل لكني لم أفهم ما هو".

"صحيح أن بيت الفقر يبقى بيت فقر أخبريها أن البيت عن قريب سيرمى فلا تقلق عليه، وإن كان هناك من داع للقلق فلتقلق على وظيفتها لأنها قد لا تصلح لنا بعد العهد الجديد".

نظر أبو سلطان إلى أبنائه:

"أفكر في استقدام عائلة بأكملها لخدمتنا".

أمرت أم سلطان الخادمة بالانصراف وانشغلت هي بالتفكير في المشكلات التي طرأت على علاقاتها في الحارة. فبعد أن كانت تتمتع بمركز ثقل في الحارة جعلها صاحبة الكلمة الأولى في

المجلس بدأت علاقاتها ومكانتها بالتصدع بعد أن زعمت أم نجم أنها ستستأثر هي وعائلتها بالنفط مع أنه حق الحارة.

اتجهت سلوى إلى مجلات كانت قد خبأتها تحت سريرها خوفاً من أبويها لاحتوائها على صور غانيات وعارضات أزياء. أخذت تتأمل الصور وتحاول أن تختار أجمل قصة شعر حتى دخل عليها سلوم. فتح سلوم عينيه ولما استوعب ما رأى صاح بأعلى صوته:

"سأخبر أمي".

نظرت سلوى إليه بطرف عينيها وقالت:

"أخبر من تحب".

انطلق سلوم إلى أمه وعاد بعد لحظات يجر أذيال الخيبة. وعندما دخل غرفته قالت له سلوى وهي لا تنظر إليه:

"هل أخبرت أمي"؟

لم يرد عليها واتجه إلى سريره.

"ما رأيك أن تساعدني في اختيار القصة المناسبة لشعري؟!"

بعد لحظات انضم سلوم لسلوى، ولما رأى الكم الهائل من المجلات النسائية قال وهو يدعك عينيه من الدهشة:

"متى جمعت كل هذه المجلات؟"

"عندما كنت تتعارك مع أصدقائك في الشارع كنت أنا أعمل".

قال سلوم وهو لم يفهم:

"طيب لماذا جمعت كل هذا؟"

"أنتظر هذه الساعة".

@@@

أخذ محمد يدور في الغرفة كالمسعور يشتم ساعة ويزفر أخرى. كان منظره كالذي يبحث عن شيء غير موجود. أخذ يتمتم من غير أن يشعر:

"لا نريد الأموال إذا كانت تجعل بناتنا كالأولاد".

رد سلطان وهو مستلق يقرأ رواية بوليسية:

"متطرف".

نظر محمد إلى سلطان الذي تجمع داخل الأريكة يقرأ إحدى الروايات البوليسية وأكمل كلامه:

"وتجعل أولادنا كالبنات".

في هذه الأثناء كان أبو سلطان يتناقش مع أم سلطان حول الإجراءات التي يجب أن يتخذها حيال الحارة، فهي كانت ترى إشراكهم ولو جزئياً في النفط بينما كان هو يرفض رفضاً قاطعاً هذه الفكرة.

بعد أن يئست منه قالت وهي تحاول أن تضغط على الورقة الأخيرة التي في يدها:

"لن تنفعك أموالك لوحدك".

"ماذا تقصدين"؟

"أقصد ماذا تستفيد من الأموال إذا لم توظفها لخدمتك. بمعنى آخر المال يجلب الجاه بين الناس".

قال مقاطعاً:

"وهذا ما سيحصل".

"طيب وإذا كان المال لا يفعل"؟

"أين سلطان؟ يبدو أن صدمة الثراء أثرت عليك أنت الأخرى".

"إن كان هناك أحد قد أثرت عليه صدمة الثراء فهو أنت. قل لي كيف ستجمع الناس حولك بالمال وهم حاقدون عليك".

قال أبو سلطان وقد نفد صبره:

"إذاً ماذا تريدينني أن أفعل!! هل أسبِّل البئر لكل من هبَّ ودبَّ؟".

أتاهم الجواب من خارج الغرفة:

"إذا كان ذلك يخدمنا لما لا"؟

نظرا إلى صاحب الصوت فإذا هو سلطان وبيده رواية بوليسية لم يجرؤ فيما مضى على حملها في أيام الدراسة علناً أمام أبويه. لم يعط الأبوان الرواية التي يحملها سلطان أي اهتمام بل نظر ا إليه نظرة المستوضح. وكانت أعينهما تسأله المزيد، أجاب سلطان تلك التساؤلات بعد أن خطا خطوات الواثق وقال:

"يعني لماذا لا نجعل الجميع يستفيدون منا وهم تحت رأينا. أعرف لم تفهموا. سأضرب لكم مثالاً. ماذا لو جعلنا أبا خالد يتولى تصينع براميل النفط. سيستفيد أليس كذلك"؟

أجاب الأب:

"بلى".

"ولكن مهما حصل من فائدة فلن يستطيع أن يتجاوزنا".

أكمل الأب وقد بدا يفهم اللعبة:

"لأنني أستطيع أن أقفل صنبور البئر في مجلسي".

قال سلطان:

"ومن ثم سيحاول أبو خالد بيع البراميل على مؤسسة النظافة".

نظر أبو سلطان إلى أم سلطان:

"هل هذا ما كنت تريدين قوله" :

ترددت قليلاً ثم أجابت بحزم:

"بالضبط" .

أكمل سلطان:

"وكذلك الحال لبقية الحارة" .

قال الأب متضايقاً:

"حتى أبو نجم؟" .

"حتى أبا نجم لأنه سيسبب لنا مشاكل نحن في غنى عنها . مع ملاحظة أن استفادة كل واحد منهم على حسب قوة تأثيره في الحارة" .

قال أبو سلطان:

"ولكن هناك أمر واحد سأفعله بغض النظر عن جميع آرائكم" .

نظرا إليه مستفهمين:

"سأبصق في وجه المدير" .

@ @ @

وقف أبو سلطان في المجلس بجانب بقعة الزيت وأمامه أفراد العائلة وقد حمل كل منهم ما كان يخفيه، فسلطان حمل جميع رواياته البوليسية التي لم يكن يجرأ على حملها خارج غرفته، وسارة تأبطت هي وسلوم إحدى المجلات النسائية المليئة بصور عارضات الأزياء أملاً في مشاركة أبيها لها في الاختيار، أما محمد فقد بقي خالي الوفاض إلا من سبٍّ في سره لسلوى واحتقار لسلطان. أعلن لهم عن خطته في الخطاب الذي سيلقيه أمام سكان الحي بعد قليل. حيث كان في يده خطابان أحدهما خطاب الاستقالة والآخر خطاب توزيع المهام على سكان الحي حرصاً منه على وحدة الحارة. وأوضح أن أبا خالد سيتولى تصنيع البراميل، وأبا نجم سيتولى الدعاية والكتابة على البراميل، وبقية الحارة سيتولون مسؤولية التوزيع والتنسيق مع الشركات المختلفة مع ملاحظة أن نصيب كل واحد منهم يختلف من واحد لآخر وفق شروط تعلن لاحقاً.

بعد أن انتهى من خطابه قال محمد:

"هل تسمح لي يا أبي بالمشاركة"؟

لم يبد أن سلطان مرتاحاً لهذه المشاركة. إلا أن ذلك لم يمنع الأب من القول:

"تفضل".

"أود أن أوضح أنه قبل أن نهتم بالحارة وهو أمر جيد، يجب أن نهتم بأمر البيت".

التفت الأب إلى أم سلطان وقال:

"هل هناك نقصان في مؤن البيت؟".

" لا".

"هل الفواتير مسددة؟".

"جميعها".

ردّ محمد:

"ليس هذا ما قصدت".

حرك الأب الأوراق التي في يده في إشارة إلا أنه مشغول وقال:

"إذاً ماذا تقصد"؟

"أقصد أن هناك أموراً صاحبت ظهور الزيت في بيتنا ستغير من معالم حياتنا إلى الأسوء".

ردَّ الأب وهو يقلب خطابه

"مثل":

"مثل شعر سلوى والمجلات التي تحملها في يدها مع أن ذكرها بالاسم في السابق سيكون كارثة. أظن أن هذه الشرارة ستشعل

الفتيل الذي لا يمكن أن نتنبأ بما يفعل إذا وصل إلى منتهاه، وثق تماماً يا أبي أن حرصك على أمور الحارة لن يغني عن بيتنا شيئاً إذا انهار من الداخل".

نظر الأب إلى محمد طويلاً ثم قال:

"لا تخف سنعرض مشكلتك على أفضل طبيب نفسي. سلطان انظر هل تجمع أهل الحي"؟!

اتجه سلطان إلى الشارع. وأما محمد فقد اتجه إلى طرف المجلس وجلس. نظرت إليه سلوى ثم اتجهت إليه وقالت بهدوء:

"كانت كلمة رائعة إلا أن وقتها انتهى".

كان أبو سلطان يقرأ الخطاب للمرة الأخيرة حين سمع صوت الخادمة من خلفه تتذمر بلغتها التي لم يفهمها. نظر إليها فإذا هي قد وقفت بجانب بقعة الزيت وفي يدها المنظفات في حالة من الغضب لم يرها عليه من قبل. نظر إليها ثم نظر إلى سلوم الذي اعتاد أن أن يتحدث باسم والده وقال له:

"ماذا بها؟! أخبرها أنّ لا تنظف البقعة فأنا أحتاجها لأقف بجانبها عند الخطاب".

اتجه إليها سلوم وتحدث معها قليلاً ثم التفت إلى أبيه:

"تقول إنها ستصلح هيدروليك الباب من راتبها؛ لأنه يسرب الزيت وقد ملت من التنظيف".

نظر الجميع مصعوقين إليها مما سمعوا. ولما رأتهم ينظرون إليها مبهورين. أكدت ما قاله سلوم وأقسمت بأنها ستنظف سجاد المجلس للمرة الأخيرة. اتجهت أم سلطان إلى هيدروليك الباب ووضعت يدها عليه فإذا هو بالفعل مصدر الزيت. نظرت إلى أبي سلطان فإذا هو ما يزال يحمل في يده الخطاب وفي اليد الأخرى ورقة الاستقالة، ودون شعور قفزت أم سلطان بكل قوتها على اليد التي تحمل ورقة الاستقالة ونزعتها منها وقامت بتمزيق الاستقالة. سلوى استغلت فرصة الفوضى وقفزت على سلوم لتسحب منه المجلات التي ساعدها في حملها خوفاً من أن تصادر بعد أن يعود الحال لما هو عليه. محمد رأى ما حصل فقفز هو الآخر ليأخذ المجلات من سلوم. في هذه الأثناء دخل عليهم سلطان ورأى ما لا يمكنه أن يستنتج سببه فقال لهم ووجهه يدل على أنه يشك بصلاحيتهم العقلية:

"أبي".

توقف الجميع ونظروا إليه:

"الجميع في الخارج ينتظرون الإذن بالدخول".

تمت بحمدالله،

سهل الشرعان

"رفحاء"

sahal220@hotmail.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- مجرد نظرة	٥
- طرقة باب	٤١
- الحقيقة	٨٣

@ @ @

صدر للمؤلف

- رواية (ياسـر) الطبعة الأولى، دار الجوهري، عمان. الطبعة الثانية مجلة شباب.
- الفيلم التربوي، (مبدعون ولكن)، إنتاج شركة أُحُد.
- المسلسل الكوميدي، (شقتكو)، إنتاج شركة بارقة.

يعكف حالياً على كتابة روايته القادمة: (عبقرينو).

سهل الشرعان